الفصل الثاني

نظرية الاختلاط التفاضلي لسذرلاند

فروضها والدراسات التقويمية لها

تمهيد :

المبحث الأول : ادوين سذرلاند وإسهاماته العلمية .

المبحث الثاني : نظرية سذرلاند في الاختلاط التفاضلي والدراسات التقويمية لها .

أولاً : النظرية .

ثانيًا : الدراسات التقويمية لفروض النظرية .

ثالثاً : الانتقادات التي وجهت لنظرية سذرلاند في الاختلاط التفاضلي .

رابعًا : مكانة نظرية الاختلاط التفاضلي .

خاتمة .

تمهيد :

تناول البحث في الفصل السابق «النظريات الاجتماعية» (Sociological Theories) المختلفة في تفسير السلوك الإجرامي، وألقى الضوء على كل من نظرية الوظيفية، ونظرية الصراع، وانتهى إلى أن أياً منها لم يفسر السلوك الإجرامي تفسيراً شاملاً وقاطعاً.

وفي هذا الفصل سنتناول نظرية الاختلاط التفاضلي «لادوين سذرلاند» من جوانب متعددة:

١ ـ **نبذة تاريخية عن نشأة وحياة «ادوين سذرلاند»** (Edwin Sutherland)، لما في ذلك من أهمية في تكوين وبلورة أفكاره واتجاهاته العلمية، مع إلقاء الضوء على الإسهامات العلمية التي قدمها «ادوين سذرلاند» في مجال بحوث السلوك الإجرامي بصفة عامة.

٢ ـ **أساسيات وقضايا «نظرية الاختلاط التفاضلي»** (Differential Association Theory)

مع مناقشة أهم "الدراسات التقويمية" (Evaluative Studies) التي أجريت على نظرية «ادوين سذرلاند» وذلك للوقوف على أهم ما طرحته هذه الدراسات من توجيهات إيجابية أو محاذير يجب مراعاتها عند اختبار هذه النظرية.

ومن الجدير بالذكر أن عرض وتحليل ومناقشة هذه الدراسات التقويمية لنظرية «سذرلاند» في تفسير السلوك الإجرامي والمعروفة باسم «الاختلاط التفاضلي» يمثل الجانب النظري الذي يأخذ به البحث في هذا الشأن، أما الجانب التطبيقي فيتمثل في تقويم النظرية من خلال الدراسة الميدانية، وذلك لكي يكون الحكم لصالح النظرية أو عليها في ضوء ما انتهى إليه الآخرون من جانب، وما تكشف عنه جهود الباحث الميدانية من جانب آخر.

وليس من شك في أن عرض وتحليل الدراسات التقويمية التي أجريت على نظرية «ادوين سذرلاند» ليس هدفاً في ذاته، وإنما هو خطوة في طريق تحقيق وصياغة فروض النظرية وكشف للمتغيرات المختلفة فيها وتحقيق للارتباطات القائمة بينها وتوضيح للجوانب الاجرائية والمنهجية التي التزمت بها أو حادت عنها، وتأكيد لمبدأ علمي يسير عليه البحث ويلتزم به وهو تراكمية «المعرفة السوسيولوجية» (Sociological knowledge) وذلك أملاً في أن تكون هذه الدراسة لبنةً في صرح بناء تفسيري جديد لظاهرة اجتماعية قديمة.

المبحث الأول - أدوين سذرلاند وإسهاماته العلمية:

يعد «ادوين سذرلاند» في نظر أغلب علماء الاجتماع الأمريكيين أحد العلماء المبرزين في علم الجريمة، والذي أسهمت جهوده - في هذا الإطار - في تشكيل المذهب الاجتماعي الحديث لدراسة الجريمة والمجرمين. وقد اكتسب «سذرلاند» تلك المنزلة بنظريته في «الاختلاط التفاضلي» التي كرس نفسه لدراستها على مدى ثلاثين سنة، فجاءت نقداً للمدارس السابقة للجريمة (*) التي عنيت بتحليل الجريمة وعواملها المختلفة أمبريقية كانت أو نظرية بحتة.

إن نظرية «سذرلاند» تعتبر أول محاولة جادة لتفسير السلوك الإجرامي من حيث دراسة المتغيرات الاجتماعية والسلوكية، والاتجاهات والمواقف الفردية والجماعية إلى جانب الثقافة والتصورات وارتباطها بالتوجه إلى مخالفة القانون

(*) ومن أمثلة المدارس التي رفضها سذرلاند «المدرسة البيولوجية» (The Biological School) «والمدرسة الاقتصادية» (The Economic School) و«المدرسة النفسية (The Psychological School)، ويتضح رفض سذرلاند من خلال صياغة فروض نظريته وعدم تضمنها أياً من العوامل التي ركزت عليها المدارس المشار إليها، ويتأكد ذلك من خلال مراجعة الباب الأول من مؤلفه، مبادىء علم الإجرام، وأيضاً من خلال دفاع النقاد عن هذه العوامل كما يتضح ذلك من الدراسات التقويمية في هذا الفصل.

وارتكاب الجريمة، وليس أدل على ذلك من إشارة «كارل شوسلر» (Karl Schuess-ler) في كتابه «تحليل الجريمة عند سذرلاند» (E. Sutherland Analyzing Crime) ، إلا أن «سذرلاند» ركز جل اهتمامه في حقل السلوك الإجرامي، وأعطى أولوية مطلقة «للتحليل السيسولوجي للجريمة»[١] (Sociological analy-sis of Crime).

وقد ولد صاحب هذه النظرية «ادوين سذرلاند» في قرية «جيبون» (Gibbon) بولاية «نبراسكا» (Nebraska) الأمريكية في (١٣/٨/١٨٨٣م)، وتوفي في مدينة «بلومينجتون» (Bloomoington) بولاية «انديانا» (Indiana) في (١١/١٠/١٩٥٠م)[٢].

وكان والد «سذرلاند» قسيساً يدير كنيسة بروتستانتية في مجتمع سكاني قروي وفي ذلك الجو تشرب «سذرلاند» أهمية الأخلاق والقيام بالواجبات الشخصية واحترام القانون وآثاره الاجتماعية[٣]. ثم تابع تعليمه في «كلية جراندايلاند» (Grand Island College) في «نبراسكا»، وحصل على درجة البكالوريوس عام (١٩٠٤م)، ثم قام بالتدريس في الكلية نفسها. وفي «كلية سيسكس فولز» (Sisux) (Falls College) في «داكوتا الجنوبية» لمقررات الاختزال والهندسة واللغة الاغريقية، ولكنه لم يكن يميل إلى هذا التخصص، فالتحق عام (١٩٠٦م) كطالب بجامعة «شيكاغو»، وهناك تأثر بأساتذته المهتمين «بالعمليات الاجتماعية»[*] (Processes Social) وصار متطبعاً بالاتجاه الذي

1) Sutherland, E., on Analyzing Crime, Edited by Schuessler, kari, The Univirsity of Chicago press, Chicago and London, 1973. Introduction .p. Ix.
2) Ibid, p.x.
3) Gay Lord, M.S. And Galliher, J.F. "Rural Protestantism And The Origins of Differntial Association theory" , Missouri Uniwersity, Columbia, U. S. A., 1987, p. 2.

(*) وخاصة «جورج هربرت» (George Herbert) و«تشارلي كولي» (Charles H. Cooley) و«ادوارد روس» (Edward A. Ross) Ibid. p. 4

عرف بعدئذ باتجاه مدرسة «شيكاغو» في علم الاجتماع.

وقد حصل «سذرلاند» على الدكتوراه في علم الاجتماع عام (١٩١٣م) في الوقت الذي أنهى فيه دراسته «البطالة ووكالات التوظيف العامة» (Unemploymen And Public Employment).

ثم عمل مدرساً في عدة جامعات مما جعله يزامل عدداً كبيراً من علماء الاجتماع البارزين آنذاك (*).

ثم تفرغ بعد ذلك والتحق بفرع «الصحة الاجتماعية» (Social Hygiene) في «نيويورك» وذلك قبل أن يستقيل ليقبل العمل «كأستاذ بحث (Research Professor) في جامعة «شيكاغو».

وفي حفل تنصيب «سذرلاند» في وظيفته قال «روبرت م. هوتشينز» (M. Hutchins Robert) رئيس جامعة «شيكاغو» «إنه تم اتخاذ هذه الخطوة لتقوية برنامج الجامعة لدراسة الجريمة» (١).

ولقد كان «سذرلاند» دائم النشاط والحركة والدراسة، فقد تنقل للعمل بين خمس كليات مختلفة، إضافة إلى مناصبه قبل حصوله على الدكتوراه وذلك لمدة سبع سنوات تقريباً في كل واحدة من هذه الجامعات، ثم تخصص في بحث الجريمة وأنتج عدة دراسات مهمة (٢)، وقبل موته بشهر أو أكثر بقليل كان قد كتب بحثاً نقدياً عن (الصور المتنوعة للشباب المنحرف) (Varieties of delinquent Youth) للكاتب «شيلدون» (Sheldon) لتقديمها في اجتماع «الجمعية الاجتماعية الأمريكية» (American Sociological Association) في مدينة «لوس أنجلوس»

(*) من أمثال «دونالد كريسي» (Dnald R. Cressy)، و«هاينز» (A. Hines)، و«فرانك سويتزر» (Frank Sweetser) Ibid., p. 11

1) Sutherland. on Analyzing Crime, Op. cit. p. xi.
2) Ibid. Introduction p. xi.

بولاية «كاليفورنيا»، وقبل موته كان يعمل على إنتاج الجزء الخامس في علم الإجرام، وأدى هذا النشاط العلمي الغزير «لسذرلاند» إلى تشبيهه بعالم الاجتماع الألماني الشهير «ماكس فيبر» [١] (Max Weber).

ويرجع السبب في نظرة «سذرلاند» إلى السلوك الإجرامي باعتباره سلوكًا اجتماعيًا، ورفضه تفسيرات المدارس السابقة عليه [٢] إلى نشأته وترعرعه في أحضان الريف الأمريكي في نهاية القرن التاسع عشر من أبوين بروتستانتيين، وتتلمذه على أيدي صفوة من علماء الاجتماع المبرزين والمؤسسين له.

ولا تقتصر إسهامات «سذرلاند» في تحليل السلوك الإجرامي على كتاباته المنشورة فحسب ولكنها تنصرف إلى مذكراته ورسائله وأوراقه العلمية غير المنشورة، ولعل ذلك ما حدا «بكارل شوسلز» أن يستعين بالكثير من هذه الكتابات عندما قرر أن يحرر ويقدم لمؤلفه «تحليل الجريمة عند سذرلاند»، والذي قام بنشره بعد وفاة «سذرلاند» بحوالي ربع قرن من الزمن [٣].

وفيما يلي عرض موجز لأمهات الكتب المنشورة لسذرلاند:

١ ـ كتاب «علم الإجرام» (Criminology)

نشر «سذرلاند» هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩٢٤م، باعتباره المؤلف الوحيد له ثم أعاد طباعته عام ١٩٢٨م بنفس الاسم، وفي أعوام ١٩٣٤م، ١٩٣٩م، ١٩٤٧م أعيد طبعه تحت عنوان «مبادىء علم الإجرام» (Principles of Criminology)، وفي أعوام ١٩٥٥م، ١٩٦٠م، ١٩٧٠م، ١٩٧٤م، ١٩٧٨م [٤].

---

(١) فيبر، ماكس (١٨٦٤ – ١٩٢٠م): عالم اجتماع ألماني اعتنى خاصة بعوامل قيام الرأسمالية الحديثة ومن مؤلفاته الشهيرة «الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية» و«المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع». انظر: تيماشيف، نيقولا، نظرية علم الاجتماع ص: ٢٥٢ – ٢٧٧، مرجع سبق ذكره.

(٢) محمد، جلال مدبولي، الجريمة وانحراف الأحداث، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٩٦.

3) Ibid. p. xll.

4)Sutherland, E. H. And Cressy, D. R. , Criminology, op. cit, p. 17.

ظهر الكتاب بعنوان « علم الإجرام » (Criminology) لمؤلفيه « سذرلاند » و« دونالد كريسي » (Donald Cressy) حين استقر رأيه على صياغة نظريته في الجريمة في تسعة افتراضات (*) وقد قسمه إلى بابين :

ويتناول الباب الأول من الكتاب « دراسة الجريمة والنجاح »(The Study of Delinquency And Crime) حيث يعرض فيه بالدراسة والتحليل علم الإجرام والقانون الجنائي (Criminal Law)، كما يتطرق أيضاً لدراسة إحصاءات الجريمة من خلال السجلات الرسمية ومصادر تلك الإحصاءات، مؤكداً أنها أقل قيمة في الاعتماد عليها لأن الجرائم التي تبلغ للشرطة لا تعد دليلاً حقيقياً لحجم الجريمة، ولأن كثيراً من الجرائم تسقط بين القبض والتسجيل أو بين القبض وإقامة الدعوى أو بينهما وبين إصدار الأحكام عليها .

وتناول كذلك بالتحليل والتقييم مناهج ونظريات مدارس علم الإجرام السابقة (**) مؤكداً أنها جميعًا تفسر الجريمة « بالعامل الواحد » (One Single Factor) في حين أن هناك « عوامل مجتمعة » (Multiple - Factor) تقود حتماً للسلوك الإجرامي لتضمنها البيانات الإحصائية، ومقارنة المتوسطات والنسب المئوية وروابط السببية، إلى جانب اهتمامها بتسجيل الملاحظات ونتائجها .

(*) سوف يعرض الباحث لمبادىء هذه النظرية لاحقاً ص ٧٦، مستخدماً مصطلح « مبادىء » بالتبادل مع كل من مصطلح « فرضيات » أو « قضايا » .

(**) من هذه المدارس « المدرسة التقليدية » (Traditional School) و « الجغرافية » (Geographic School) و « الاشتراكية » (The Sociolist School) و « الشخصية » (The Personality Ap-proach) و« الاجتماعية » (The Social Approach) Ibid, pp. 55 - 74.

واستعرض في هذا الباب العمليات الاجتماعية المتصلة بالجريمة (*) مؤكداً أن جميع تلك العناصر لم تثبت بقوة أن لها أثراً مباشراً في إنتاج الجريمة، وأن الصحيح هو أن أثرها يعود فقط إلى دورها في «التفاعل الاجتماعي» (Social In-teraction)، كما أن نظرية «التحليل النفسي» (Psychoanalysis) – التي ترجع الجريمة إلى بعض المتاعب اللاشعورية – نظرية تشوبها العيوب العلمية في كثير من نواحيها، حيث ثبت ضآلة نسبة صلة الأمراض النفسية بالجريمة، إلى جانب الاختلاف في التشخيص بين «الأطباء النفسانيين» (Psychatrists). أما سوى ذلك من العناصر، وبخاصة الهجرة والانتقال، فهي لا تفسر ارتفاع معدل نسبة الجريمة حيث إن ذلك ليس عاماً في كل الجرائم، وليس في كل الفترات من العمر، وليس في كل مجموعة مهاجرة، وهذا يؤكد أهمية «العلاقات التفاضلية» (Differential Relation) في تفسير الجريمة.

(*) مثل التنظيم الاجتماعي (Social Organization) و«الفردية الاقتصادية» (Economic Indi-vidualism) و«السياسية» (Political Individualism)، و«القابلية للتنقل» و«الصراع الثقافي» (Cultural Conflict)، وكذلك تناول العوامل المادية والعضوية (Material And Or-ganic Factors) في الجريمة مثل «البيئة الطبيعية» (Psychological Environment)، و«الوراثة» (Heridity) و«الظروف التشريحية»، و«العيوب الطبيعية والعضوية» ومعدلات السن والجنس (Age And Sex Ratios)، وكذلك بعض خواص «الشخصية المرضية» (Pathological Person-ality) مثل «الخلل العقلي» (Mental Disorder) و«الامراض النفسية» (Pathological Disease-s) و«الالتهاب الدماغي» (Head Infection) و«السكوباتية» (Psychopatics) و«التقلبات العاطفية» (Emotion Disturbancies) و«الثقة بالنفس» (Self - Confidence)، و«الإغراء» (Appeal)، وكذلك تقصي «علاقة السلالة» (Ethnicity) و«الهجرة» (Migration)

Ibid: p. 99 - 154.

وقد أعطى «سذرلاند» في هذا الباب أهمية في بحثه لمناطق الثقافة والأسرة والبيت والأنظمة الاجتماعية وعمليات السلوك الإجرامي و«نماذج عملية الجريمة» (Modes of Operation Crime) ليؤكد في نهاية الباب عمق تأثير العلاقة التفاضلية والتنظيم الاجتماعي التفاضلي (Differntial Social Organization) وبخاصة عملية «الاتصال» (Communication) و«الارتباط» (Association) بنماذج السلوك المنحرف [1].

كما خصص «سذرلاند» الباب الثاني، وهو بعنوان «معالجة الجريمة والجُنح» (The Processing Of Delinquency And Crime)، لدراسة سياسة «العقاب» (Penology) من جميع جوانبه [*].

ولقد ترجم كتاب «علم الإجرام إلى عدة لغات [**]، وذلك أثناء حياة «سذرلاند»، وفي تقديمه للنسخة اليابانية ذكر «سذرلاند» أن نظريته في الاختلاط التفاضلي قد تصدق في المجتمع الياباني، ولكن يبقى الحكم على مصداقيتها متوقفاً على اختبارها في ثقافة مختلفة عن الثقافة الأمريكية [2]، وفي ذلك إشارة لما يعرف بعلم الاجتماع المقارن.

ولعل محاولة الباحث هنا اختبار نظرية «سذرلاند» – في البيئة الاجتماعية والثقافية للمجتمع السعودي الإسلامي – قد تعد مبادرة في تطبيق نظرية «سذرلاند» ضمن مجتمع عربي إسلامي من جانب، ومساهمة في «علم الاجتماع الجنائي المقارن» (Comparatve Criminal Sociology) من جانب آخر.

(*) من حيث معاملة المجرمين ونظام الشرطة، والحجز قبل المحاكمة، والمحاكمة الجنائية، ومحكمة الأحداث، والاختبار القضائي، وطرق المعاملة في السجون، وأغراض وظروف الحبس والعمل، والتربية في السجن والحياة في السجن، ثم الإفراج بوعد الشرف، وسبل منع الجريمة والانحراف.

(**) ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية محمود السباعي وآخرون ونشرته مكتبة الأنجلو المصرية مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بنيويورك وذلك عام ١٩٦٨م.

1) Ibid, p.IX.

2) Sutherland, E. on Analuyzing Crime. op. Cit., p. XIV.

٣ - جرائم أصحاب الياقات البيضاء (White - Collar Crime)

يعتبر هذا الكتاب من أهم إنجازات «سذرلاند» العلمية التي حققها قبل وفاته، وقد اهتم في هذا الكتاب «بالجرائم المهنية» (Occupational Crime) للأشخاص المرموقين وذوي الوضع الاجتماعي العالي، ولذلك أطلق عليها «جرائم ذوي الياقات البيضاء» (*) وأصبح هذا المصطلح مصطلحاً هاماً في علم الاجتماع الجنائي ويرجع الفضل في إضافته إلى «سذرلاند»، وبقي في التحليل النظري على المستوى الذي تركه «سذرلاند» في عام ١٩٤٩م عندما نشر كتابه [١].

وقد استعرض الكتاب الجرائم التي ارتكبتها المؤسسات الاحتكارية «منظمات الأعمال الكبرى» (Corprations) في أمريكا عن طريق مديريها التنفيذيين الأمريكيين، وبينما كانت «وحدة التحليل» (Unit of Analysis) عند «سذرلاند» في دراسته عن الاختلاط التفاضلي هي الشخص، فإننا نجدها «شركات الأعمال» (Corporations Business) في دراسته عن جرائم ذوي الياقات البيضاء [٢]، وربما يرجع ذلك إلى الظروف التاريخية التي كتب «سذرلاند» في ضوئها عن جرائم شركات الأعمال، حيث كانت أمريكا تمر كما نعلم في الثلاثينات من هذا القرن بحالة من الكساد الاقتصادي المرير.

وقد تعرض مفهوم «جرائم ذوي الياقات البيضاء» لهجوم عنيف من عالم القانون والجريمة الشهير «بول تابان» (Paul Tappan)، وكان ذلك في الاجتماع السنوي للجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع في عام (١٩٤٦م). ورغم أن «سذرلاند» كان مشاركاً في هذا الاجتماع إلا أنه لم تتح له الفرصة ليرد على

(*) جرائم ذوي الياقات البيضاء هي تلك الأنواع من السلوك التي تخرق القوانين المكتوبة، وعلى الرغم من ذلك لا يجرم مرتكبوها. Ibid, p. 46.

1) Sutherland, E. White Collar Crime, New york, Dryden Press, 1949.

2) Sutherland, E. On Analyzing Crime, Op. Cit., p. XIX.

« تابان » وجها لوجه، ولكنه سرعان ما بعث برأيه إليه عقب انتهاء المؤتمر. ويكشف رد « سذرلاند » عن رحابة صدره في تقبل بعض الانتقادات،وخاصة ما يتصل بتحديد مفهوم جرائم ذوي الياقات البيضاء حيث يقول (*): « إنني أتفق معكم على ضرورة التحديد الدقيق لمفهوم السلوك الإجرامي... وأعتقد أن مفهوم جريمة الياقة البيضاء يثير بعض التساؤلات والتي آمل إيضاحها في كتاباتي اللاحقة ».

٣ - الإسهامات العلمية الأخرى (**) وهي عبارة عن أوراق ورسائل تتصل بالتنبؤ بالوعد، وتجزئة معاملة الساخطين، وصراع الثقافة والجريمة،والواقعية القانونية،وقد تناولها « شوسلر » بالتعريف والتعليق.

وأدت شدة إعجاب « شوسلر » بمعالجة « سذرلاند » إلى أن قام هو نفسه بجمعها وتحليلها في كتاب طبع عدة مرات تحت عنوان « حول تحليل الجريمة عند ادوين سذرلاند » (***).

" I agree with you to the desirability of clear definition of criminal behavior ... 1 beleive that the concept of " White Collar Crime" is questionable in certain repects and I hope to elaborate these in late Publication" (Ibid, p. XXI. Introduction).

(**) انظر عرضاً مفصلاً لأعمال « سذرلاند » في ملحق الدراسة رقم (١).

(***) **قسم شوسلر هذه الأعمال إلى قسمين رئيسيين:**

١ ـ الكتب التي ألفها « سذرلاند » وعددها سبعة كتب منها الأربع طبعات لمؤلفه الشهير « علم الإجرام » (Criminolgy) أما الثلاثة الأخرى فكانت عناوينها « عشرون ألف رجل بلا مأوى » (Twenty Thousand Homless Men) و « اللص المحترف (The Proffessional Theif) و « جرائم ذوي الياقات البيضاء » (White Collar Crime).

(٢) مجموعة من المقالات والتقارير العلمية .Ibid, p. 275

المبحث الثاني: - نظرية سذرلاند في الاختلاط التفاضلي والدراسات التقويمية لها.

أولاً النظرية:

تعتبر نظرية «سذرلاند» عن الاختلاط التفاضلي محاولة بارزة لصياغة نظرية تكاملية في السلوك الإجرامي على أساس أن الشخص إنما يصبح جانحاً بسبب توصله واقتناعه بأفكار وتحديات مخالفة للقانون في إطار انعدام التنظيم الاجتماعي، حيث إن الأفراد والجماعات على السواء قد ينتظمون حول مجموعة من الأفكار والمواقف الكارهة للقانون والمجندة لارتكاب الجريمة. وينتقل هذا التوجه بواسطة التعامل والارتباط والاتصال والذي شخصه «سذرلاند» بالنظرية التي سماها الاختلاط التفاضلي، وذلك لأن هذا الميل إنما يتفاوت بحسب تكرار العلاقة وكثافتها مع المجندين للسلوك الإجرامي، الذي هو - في واقع طبيعته - ليس وراثياً ولا خلقياً ولا نفسياً بحتاً، وإنما هو مكتسب ومتعلم مثلما يتعلم أي سلوك آخر إيجابي أو غيره (*).

ولقد وضع «ادوين سذرلاند» بذور فكرة الاختلاط التفاضلي في مؤلفه علم الإجرام، والذي ظهرت الطبعة الأولى منه عام (١٩٢٤م)، ولكن الصياغة العلمية الدقيقة للنظرية في شكل سلسلة من الفروض المترابطة لم تظهر على يدي «سذرلاند» إلا من خلال الطبعة الثالثة، لذات المؤلف والتي ظهرت بعد خمسة

(*) كانت نظرية الاختلاط التفاضلي اجتماعية خالصة منذ ابتكارها، واستمرت كذلك طوال تطورها خلال الأربعينات، كما ظلت أبرز نظرية في علم الاجتماع والإجرام لما يقرب من نصف قرن من الزمان.

See: Gaylord, M.S. and Galliher. J. F., Rural Protestantism And The Origins of Differential Association Theory, op. cit., p. 14.

عشر عامًا من صدور الطبعة الأولى، ولعل هذا الفارق الزمني كان لازماً لإنضاج النظرية [1].

وتقوم النظرية على سبعة افتراضات في طبعة (١٩٣٩م)، ولكنها تتحول إلى تسعة افتراضات في الطبعة الرابعة من كتاب «علم الإجرام» في عام (١٩٤٧م)، **وفيما يلي عرض لافتراضات سذرلاند التسعة** [2]:

الافتراض الأول: (1 st Proposition)

«Criminal behavior is learned behavior».

(السلوك الإجرامي سلوك مكتسب عن طريق التعلم)

وهذا يعني أنه غير موروث، والشخص غير المدرب على الجريمة لا يقوى على ابتكار أو اختراع السلوك الإجرامي.

الافتراض الثاني: (2nd Proposition)

(Criminal behavior is learned In Interaction with other persons In a process of communication.»

(السلوك الإجرامي يتم تعلمه من خلال التفاعل مع أشخاص آخرين وفي محيط الاتصال بهم)

وهذا الاتصال في معظمه لفظي، ويتضمن أيضاً صوراً من الاتصالات غير اللفظية كالإشارات والإيماءات.

---

1) Sutherland, E., On Analyzing Crime, Op. Cit., Introduc tion. p. XIII.

2) Sutherland, E. H.. Cressy D.R, : Criminology, Op. Cit., .p. 80 - 81.

الافتراض الثالث : (3rd Proposition)

"The Principal Part of the learning of Criminal behavior occurs within Intimate Personal group"

(السلوك الإجرامي يتم تعلمه في إطار الجماعات الأولية الحميمة ومحيط العلاقات الودية).

وهذا يعني أن وسائل الاتصال غير المباشر مثل الصحف والمجلات والسينما تلعب دوراً هامشياً، وغير هام في إحداث السلوك الإجرامي.

الافتراض الرابع : (4 th Proposition)

When Criminal behavior is learned. the learning includes:-

1 - Techniques of committing the crime, which are some times very complicated, Some times very simple.

2 - The specific direction of motives, drives, rationalizations, and attitudes.

عندما يتعلم السلوك الإجرامي فإن ذلك يعني:

١ – تعلم أساليب ارتكاب الجريمة، والتي تكون معقدة أحياناً، وبسيطة في أحيان أخرى.

٢ – تبرير السلوك الإجرامي وتوجهات دافعيته والاتجاهات الإجرامية.

الافتراض الخامس : (5 th Proposition)

(The specific direction of motives and drives is learned from definitions of the Legal codes as favorable or unfavorable.)

(إن دافعية وبواعث الجريمة تتحدد من خلال تقبل أو عدم تقبل القواعد القانونية) ففي بعض المجتمعات يجد الإنسان نفسه محاطاً بجماعة تؤيد احترام القانون، وفي مجتمعات أخرى يجد الإنسان من حوله جماعات تصوغ انتهاك القانون والاعتداء على قواعده.

الافتراض السادس : (6 th Proposition)

(A person be comes delinquent because of an excess of definition favorable to violation of Law over definition unfavorable to violation of Law.)

(يصبح الفرد منحرفًا نتيجة غلبة القوى التي تحبذ انتهاك القواعد القانونية على احترامها).

وهذا هو الاختلاط التفاضلي، وعندما يصير الأشخاص مجرمين فإن ذلك يكون بفضل احتكاكهم وعلاقاتهم بأنماط سلوكية إجرامية، وعزلتهم عن أنماط مناهضة للسلوك الإجرامي، والشخص بطبيعته يميل إلى تمثل الثقافة التي تحيط به ما لم تكن هناك حالة من الصراع الثقافي، ومن ثم فإن العلاقات المحايدة في نظرتها إلى السلوك الإجرامي لا تؤثر على إفراز وارتكاب السلوك الإجرامي.

الافتراض السابع : (7 th Proposition)

(Differential associations may very in frequency, duration, priority and intensity.)

(الاختلاط التفاضلي يتباين في التكرار والاستمرار والشدة والأسبقية).

حيث إن السلوكيات التي يتم اكتسابها في مرحلة الطفولة المبكرة يستمر أثرها مدى الحياة، وكذلك الحال بالنسبة للسلوك الإجرامي، وتنسحب أهمية الأسبقية من خلال أن الأشياء ذات الأولوية تحظى بفرصة أوسع في مجال الاختبار والانتقاء، أما الشدة فهي بعد غير محدد بدقة، وترتبط بعدة أمور مثل مكانة مصدر السلوك الإجرامي أو السلوك السوي وردود الفعل العاطفية نحو الاتصالات بالآخرين.

الافتراض الثامن : (8 th Proposition)

(The Process of learning criminal behavior by association with criminal and anticriminal patterns involves all of the mechanisms that are involved in any other learning.)

(إن تعلم السلوك الإجرامي مثل تعلم أي نوع من السلوك يتضمن آليات

وميكانزمات عملية التعلم) . ولا يقتصر هذا على عملية التقليد .

الافتراض التاسع : (9 th Proposition)

(While criminal behavior is an expression of general needs and values. It is not explained by those general needs and values, Since noncriminal behavior is an expression.)

(إن السلوك الإجرامي تعبير عن قيم واحتياجات عامة، لكنه يجب ألا يفسر في ضوء ذلك فحسب، لأن كل سلوك يعكس قيماً واحتياجات عامة) .

فاللصوص يسرقون لحاجتهم إلى المال، والعمال المخلصون يتفانون في عملهم لحاجتهم إلى المال أيضًا [١] .

تلك هي الفروض الأساسية للنظرية كما صاغها « سذرلاند » وهي كما يبدو تتميز بمجموعة أبعاد يمكن تحديدها كما يلي :

١ – يتم التعلم للسلوك الإجرامي من خلال عملية الاتصال بأشخاص أخرين داخل إطار جماعات صغيرة .

٢ – التوجيه الخاص للدوافع يستقى من موقف الفرد من القواعد القانونية باعتبارها ملائمة أو غير ملائمة .

٣ – المفارقة والتفاوت بين التفاعلات والاتصالات بحسب تكرارها وأسبقيتها وكثافتها بين الفرد ورفاقه .

تلك هي الأبعاد الثلاثة التي اهتمت النظرية بتفسيرها، وهي تندرج ضمن تحديد الارتباط، وأطرافه وطبيعته لبيان مجموعة المتغيرات الأساسية التي تعتبر

---

1) Sutherland, E. H. . Cressy D.R, : Criminology, Op. Cit., . pp 80 - 82.

انظر: الخليفة، عبد الله بن حسين ، المحددات الاجتماعية لتوزيع الجريمة على أحياء مدينة الرياض، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، الرياض ، ١٤١٣ هـ. ص ٧٣ .

متضمنة في تعلم الجريمة [١].

وقد استقى «سذرلاند» مبادئه من مجموعة دراسات عن «الأحداث الجانحين» (Juvenile Delinquents)، والأطفال المشردين من المنطقة المحيطة بـ «لوس انجلوس»، والتي حاول «سذرلاند» من خلالها تفسير انخراط هؤلاء في الجنوح والتشرد، واستمرارهم في هذا السلوك وتقدمهم فيه كلما طالت مدة إقامتهم في هذه المنطقة.

وقد اعتمدت النظرية كذلك على مجموعة دراسات مقارنة بين بعض «المناطق الريفية والحضرية» (Rural And Urban Areas) بأمريكا من أجل التوصل إلى تفسير سبب ارتفاع معدل الجريمة في المدينة بالقياس إلى الريف [٢]، وسبب ارتفاعه عند الذكور بالقياس إلى الإناث، وثبات هذا المعدل وانخفاضه في فترة الكساد [٣].

ثانياً : الدراسات التقويمية لفروض النظرية :

لقد خضعت هذه النظرية للعديد من ألوان التقويم الذي تراوح بين التأييد والنقد والتعديل، من خلال دراسات واقعية امتدت لعدة عقود من الزمن، **ويمكن تقسيم هذه الدراسات إلى:**

١ – الدراسات التقويمية لفروض النظرية.

٢ – الدراسات التي تختبر النظرية في مجالات الجريمة المختلفة.

---

(١) عوض، محمد، مبادىء علم الإجرام، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية ١٩٨٠م، ص ١٠٤ – ١٠٦.

– وانظر أيضاً: جابر، سامية، الانحراف الاجتماعي بين نظرية الاجتماع والواقع الاجتماعي، مرجع سبق ذكره ص ١٣٨.

2) Sutherland, E. H.. Cressy D. R,: Criminology, Op. Cit.,. pp. 182 - 186.

3) Ibid, p. 135.

وفيما يلي عرض تحليلي لهذه الدراسات:

الدراسة الأولى:

دراسة «ملفين دي فلير» و«ريتشارد كويني»:

(Melvin De Fleur And Richard Quinney)

«إعادة صياغة نظرية الاختلاط التفاضلي لسذرلاند واستراتيجية التحقيق الأمبريقي».

(A Reformulation of Sutherland's Differencial Association theory and Strategy For Emperical Verification) (1).

قدم هذان الباحثان رأياً هاماً جداً لا زال موضوع نقاش في المستوى التنظيري في العلوم الإنسانية كافة، وفي علم الاجتماع خاصة وهو يتسند إلى «المنطق الرياضي» (Mathematical Logic)، ويرتبط خاصة بمدى نجاح هذا المنطق في استخدام الرياضيات في العلوم الإنسانية، بمعنى أنه محاولة رياضية لإبراز ما لا تستيطع اللغة إبرازه من تجريدات فكرية مما يساعد على «ترميز» (Codefication) علم الاجتماع بصفة عامة، لذلك وضع «دي فلير» و«كويني» دراستهما بعنوان «إعادة صياغة نظرية سذرلاند»، وهما بهذا البحث يحاولان إعادة تركيبها رياضياً، من أجل الإلمام الشامل بنتائجها من خلال «الحاسب الآلي» ونجاح مثل هذه المحاولة كفيل بأن يعفي علماء الاجتماع من كثير من البحوث غير الضرورية التي قد لا تقصدها نظرية ما، أو من البحوث عديمة المعنى التي تتسلق على نظرية كنظرية «سذرلاند» في الاختلاط التفاضلي مدعية التنظير دون أن تقول شيئًا جديداً.

وبالنسبة لنظرية «سذرلاند» فقد حاول الباحثان صياغتها في شكل «نماذج

1) In (The Journal of Research In Crime And Delinquency, Vol. 3. No. I. NY., January, 1966 pp. 1 - 23.

رياضية » (Mathematical Models)، من منطلق أن علماء الاجتماع عندما يضعون نظرية يدعون أنهم يحاولون أن يدفعوا بالتفكير الاجتماعي قدماً إلى الأمام، وخاصة أن « سذرلاند » قد استخدم صيغاً كثيرة مكنت الباحثين من تطوير مجموعة من الافتراضات الرياضية والمنطقية للإحاطة بكل أبعاد فكره.

والمشكلة الأساسية التي واجهت الباحثين هي أن التوضيحات السيسولوجية لأي مصطلح اجتماعي معطى تتضمن مجموعة من المتغيرات، وتحتاج هذه المتغيرات إلى برمجة بإعادة صياغتها منطقياً، وحينذاك يصعب على القارىء العادي غير المختص في الرياضيات أو المنطق قراءة هذه الصياغة أو حتى فهمها، ولكنه إن استطاع فيمكنه أن يجتاز الهوة بين التحديات النظرية التحليلية وتطبيقاتها الأمبريقية.

وبالنسبة « لسذرلاند » نجد أن مجموعة كبيرة من الآراء النظرية صيغت بعبارات لغوية أو تم ترميزها تجريداً، ولا يعني ذلك مجرد وضع رمز لها، وهكذا يعاد صياغة النظرية بشكل رياضي.

فالباحثان لا يهدفان إلى صياغة نظرية « سذرلاند » بل فقط إعادة كتابتها بشكل رياضي، وهذا هو ما يحاوله هذا البحث من منطلق أن نظرية « سذرلاند » برأي الباحثين – وخاصة حول الاختلاط التفاضلي – تشكل الاتجاه الأساسي في علم الجريمة اليوم.

لذلك وبناءً على هذا المنهج ترجما هذه النظرية إلى تسعة افتراضات أساسية تدور حولها كل فكرة الاختلاط التفاضلي للتمييز بين الشروط الضرورية لهذه النظرية وبين الشروط الكافية لكل باحث فيها.

وبذلك صيغت نظرية « سذرلاند » من خلال ما فيها من تنظيرات متطورة تتعلق « بالسلوك الإنساني » (Human Behavior) بصورة عامة، والتي يمارسها الإنسان أو يكتسبها من أقرانه عبر تعرضه « لبنية ثقافية » ما (Culture Structure)

تحمل قيماً وتتبادلها بشكل فردي، **فأين تقف نظرية «سذرلاند» من علم الاجتماع المعاصر اليوم؟**

يرى الباحثان أن نظرية «سذرلاند» في الاختلاط التفاضلي هي أكثر النظريات الاجتماعية ارتباطًا بعلم الاجتماع منذ أن ظهر هذا العلم، والمهم عندهما هو إعادة صياغتها بطريقة منطقية رمزية.

والافتراضات التسعة قد صاغها الباحثان «رياضياً «كما يلي» [1].

أولاً: الافتراض الأول يشير إلى «أن السلوك الإجرامي سلوك متعلم»،

والصياغة الرمزية لهذا الافتراض هي(*):

ت (L) ← س ٢ (C).

والسهم يشير إلى طبيعة العلاقة والتي تعني أن التعلم يحدد السلوك.

ثانيًا: الافتراض الثاني يقول إن تعلم السلوك الإجرامي يحصل بالتفاعل مع شخص آخر.

والصياغة الرمزية لهذا الافتراض هي:

ت (L) X ع (I) ← س ٢ (C).

والجديد هنا هو أن التفاعل أدخل كمتغير وسيط بين التعلم كمتغير مستقل والسلوك كمتغير تابع.

ثالثًا: الافتراض الثالث يقول بأن تعلم السلوك الإجرامي يتم بين جماعات

(*) جاءت ترجمة الصياغة الرمزية لمتغيرات الافتراضات التسعة لنظرية سذرلاند على النحو التالي:

ت = تعلم	L= Learning
س٢ = سلوك إجرامي	C= Criminal Behavior
ع = التفاعل	I= Interaction
ج = الجماعات الأولية	G = Primary group

1) Ibid, p.4 - 9.

ذات اتصالات حميمة.

والصياغة الرمزية لهذا الافتراض هي:

ع (I) X ج (G) — س ٢ (C)

أي أن التفاعل هو متغير مستقل والجماعة متغير وسيط والسلوك متغير تابع.

رابعًا: الافتراض الرابع يقول إن الدوافع والاتجاهات الإجرامية قابلة للتعلم **والصياغة الرمزية لهذا الافتراض هي:**

د (M) X أ (A) — ت (L)

أي أن التفاعل هو متغير مستقل والجماعة متغير وسيط والسلوك متغير تابع.

خامسًا: الافتراض الخامس يقول إن التعلم يخضع للقيم المقبولة والقيم المرفوضة، **والصياغة الرمزية لهذا الافتراض هي:**

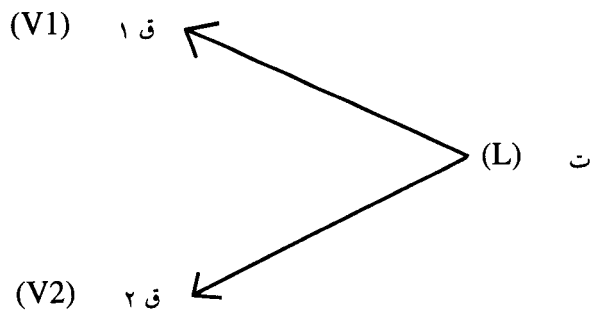

د = دوافع إجرامية — M= Motives

أ = اتجاهات — A= Attitudes

ق ١ = القيم المقبولة — V1= Favarable Values

ق ٢ = القيم المرفوضة — V2 = Unfavarable Values

ف = تأكيد التعريف بالقانون المنتهك — E= Exess of Definition of Violating

سادساً: الافتراض السادس يقول إن السلوك الإجرامي سلوك تفاضلي للقيم والمعايير الإجرامية، وإن الشخص يصبح مجرماً بسبب معايير أو قيم الانحراف التي يختارها ويفضلها.

والصياغة الرمزية لهذا الافتراض هي:

ف (E) ـــ ق ٢ (V2)

سابعًا: الافتراض السابع يقول إن السلوك الإجرامي يجب أن يفسر بشروط التعلم، ومدى التعرض للجماعات الأولية الحميمة.

والصياغة الرمزية لهذا الافتراض هي:

ت (L) X ج (G) ـــ س ٢ (C)

ثامنًا: الافتراض الثامن يقول إن تعلم السلوك الإجرامي بالاختلاط بالأنماط الإجرامية وغير الإجرامية يتضمن كل ميكانزمات عملية التعلم وآلياتها.

والصياغة الرمزية لهذا الافتراض هي:

ن ١ (P1) + ن ٢ (P2) ـــ ت (L) س ٢ (C) ك (T)

تاسعًا: الافتراض التاسع يقول إن السلوك الإجرامي يعتمد على دوافع وقيم عامة.

والصياغة الرمزية لهذا الافتراض هي:

د (M) + ق (V) ـــ س ٢ (C)

وهنا نضطر إلى العودة إلى «نظرية التفاعل الرمزي» Symbolic Interaction (Theory ، وإن كانت لم تفسر كل هذا الأمر إلا في مجال المؤسسات فإننا على

ن ١ = الأنماط السلوكية الإجرامية
ن ٢ = الأنماط السلوكية غير الإجرامية
ك = آليات التعلم وميكانزماته
ق = القيم العامة

P1= Patterns of Criminal Behavior
P2 = Patterns of non - Criminal Behavior
T = Techniques
V = General Values

الأقل نستطيع أن نؤكد أن «الحاجات» (Needs) الملحة للسلوك الإجرامي ضرورية لأي سلوك آخر ما لم تحكمها قيم، وإلا لما تمكنت من تفسير السلوك الإجرامي، وبعبارة موجزة إن الخلل القيمي في أي سلوك هو سبب الجريمة.

وموجز القول إن سياق نظرية «سذرلاند» من خلال «تأكيداته» (Assertions) للاختلاط التفاضلي، تتضمن خمسة افتراضات أساسية حول السلوك المتعلم، ولا تختلف عن أي سياق تعليمي آخر يتعرض له أي إنسان، ولذلك يمكننا اعتبار نظرية «سذرلاند» بحثًا تنظيرياً في «الثقافات الفرعية» (Subcultures) لأي مجتمع، ولكن هل كان يعني «سذرلاند» أن افتراضاته هذه يجب النظر إليها على أنها تمثل نظرية الاختلاط التفاضلي أم واحدة منها فقط، وأي واحدة كان يعني؟

إن إعادة طرح نظرية «سذر لاند» بأسلوب رياضي تمكننا من وصلها بعلم النفس من خلال الافتراض العام بأن التعلم سلوك إنساني، وهذا ما يؤدي إلى تعرض تلك النظرية للون من الغموض، وقد تمت هذه المحاولة على مستوى التجريد الفكري بعد ما بدا بعض الفشل في اختبار النظرية بطريقة الاستبيان في بعض الدراسات الأمبريقية التي قد تتعثر ما لم تستعن بالأسلوب الرياضي الذي يجب أن يدخل فيه المنطق الرمزي الحديث.

وقد علق «كريسي» (D. Cressy) على دراسة «ملفين» و«كويني» (١) بأنها فتحت باباً واسعاً للافتراضات في نظرية الاختلاط التفاضلي، بقدر سعة المعلومات التي يمكن أن يزودنا بها الحاسب الآلي نتيجة ترميز هذه النظرية فيه، وترميز علم الإجرام بصورة عامة.

وإن «سذرلاند» الذي كان يظن أن علم الرياضيات ليس ضرورياً في علم

---

1) Ibid, p. 22 - 23.

الاجتماع لأن ترميز هذا العلم سيضيع على قارئه بعض المفاهيم، ولظنه بأن المنطق الرياضي حين استخدامه في علم الاجتماع لا يستطيع أن يقول أكثر مما تقوله الجمل الكتابية العادية، ويأخذ هذا الرأي بعين الاعتبار، فإن الترميز ووضع علم الاجتماع بصيغ رياضية قد استطاعا أن يقولا أكثر مما تقوله اللغة، ولقد حددا معنى التفاعل وذهبا وراء نظم العلاقات الخفية بين أسطر علم الاجتماع مظهرين بذلك الصلة الحقيقة بين نظرية الاختلاط التفاضلي وعلم الاجتماع من جهة، وعلم النفس من جهة أخرى خارج إطار الجريمة وداخلها.

الدراسة الثانية:

دراسة د. أ. أندروز (D. A. Andrews)

« بعض البحوث التجريبية عن الاختلاط التفاضلي من خلال المعالجة المدروسة لبناء أنساق الخدمة ».

Some experimental investigations of the principles of Differential Association Through Deliberate Manipulations of the structure of service systems) (1)

تدور هذه الدراسة حول اختبار ثلاثة افتراضات أساسية في نظرية الاختلاط التفاضلي وهذه الافتراضات هي:

١ ـ إن السلوك الإجرامي سلوك يتعلمه الناس، وهذا هو الفرض الحيوي.

٢ ـ إن هذا التعلم يتم من خلال الاتصال والتفاعلات الحميمة وهذا هو الفرض الاجتماعي النفسي.

٣ ـ إن السلوك الإجرامي يظهر كوظيفة لغلبة فكرة انتهاك القانون.

---

1) In (American Sociological Review, Washington D. C., Vol 45, No. 3., June 1980) pp. 448 - 462.

وقد اعتمد في اختبار هذه الفروض على عينات من المبحوثين المدانين والمودعين بالمؤسسات الإصلاحية (Correctional Institutions)، وكان هناك تحكم وضبط في المتغيرات التجريبية (Experimental Variables)، إضافة إلى توثيق الآثار البنائية على المتغيرات التجريبية بنسق الخدمة من جانب، وتأثير هذه المتغيرات مع الاتجاهات الإجرامية وسلوك الأفراد من جانب آخر.

وتقارن هذه الورقة بطريقة نقدية الاختبارات المنظمة للفروض في إطار البرامج الخدمية التي ظلت تطبق دون مراجعة أو تمحيص نظري أو عملي لعدة سنوات.

وترى الدراسة أن تقويم البرامج بطريقة منظمة يزودنا بالأدوات والأساليب التي تمكننا من عبور الهوة بين علم الاجتماع وعلم النفس العام، وبين نظرية العلم الاجتماعي والخدمة الاجتماعية (Social Work)، وتبدأ الورقة بمراجعة عدد من الدراسات التجريبية (Experimental Studies) السابقة ذات العلاقة بالأهمية العلمية لعدد من فروض نظرية الاختلاط التفاضلي.

وقد تم تقسيم الفروض إلى مجموعتين، تختص المجموعة الأولى بالعوامل التي تؤدي إلى تعلم السلوك الإجرامي في نطاق الجماعات الحميمة، وتتعلق المجموعة الثانية بالظروف التي يعبر فيها السلوك الإجرامي عن ذاته بشكل واضح حيث تتوفر الظروف المواتية.

وقد كشفت عدة دراسات تقويمية أجريت على مجموعات خضعت «للإرشاد النفسي» (Psychological Guidance) أن مجموعات المسجونين كان لها تأثير بالغ على اتجاهات وسلوكيات الآخرين بما في ذلك التكيف مع بيئة السجن.

(وأهم نتائج البحوث الميدانية التي تم إجراؤها في هذا الصدد ما يلي):[1].

١ – إن فروض نظرية الاختلاط التفاضلي لها أهمية سببية وخاصة للمسؤولين عن تصميم وإدارة برامج الإصلاح و« التأهيل » (Rehabilitation)، ولذلك يجب النظر إلى التعلم على أنه كل مهارة تؤثر على الإنجاز الفردي.

٢ – لا يمكن تجاهل تأثير التوجهات التحليلية والنظرية التي تضفيها العلوم السلوكية على دراسة الانحراف والجريمة، كما فعل علماء الاجتماع من أنصار النظرية التفاعلية الرمزية، كذلك فإن الالتزام بعلم الاجتماع الأكلينيكي يجب ألا يصرف أنظار مخططي البرامج (Program Planners) والمقومين عن عائد ومردود الاتجاهات السلوكية، أي لابد من الاهتمام بمعطيات علم النفس والخدمة الاجتماعية.

٣ – لابد أن يسبق تخطيط وتنفيذ البرامج التي تؤثر في حياة الناس دراسات نظرية متكاملة ومنضبطة، ولقد غاب عن أنصار علماء « الاجتماع الاكلينيكيين » (Clinical Sociologists) عندما رفضوا الاتجاه الاكلينيكي كمبدأ أخلاقي هام، ألا وهو اختبار الفروض التي تقوم عليها تدخلاتهم المهنية، وذلك على أساس الالتزام الأيدلوجي بهذه الفروض.

٤ – أكدت نتائج الدراسات التي أجراها « د. أ. اندروز » أن معاشرة النماذج الإجرامية يؤدي إلى الاتجاه نحو الجريمة والعكس صحيح، وفي ذلك إثبات للفرض النفسي والاجتماعي عند « ادوين سذرلاند » والذي مؤداه أن التفاعل والاتصال بالأنماط الإجرامية يؤدي إلى السلوك الإجرامي.

---

1) Ibid, 460 - 461.

الدراسة الثالثة :

دراسة «ريد آدامز» (Reed Adams)

عن «الاختلاط التفاضلي ومبادىء التعلم المنقحة»

(Differential Association and Learning Principles Revisited) (1).

من الدراسات التقويمية العامة لنظرية «سذرلاند» ما قام به «ريد آدامز» في مقالة علمية له نشرها «بمجلة المشكلات الاجتماعية» وذلك تحت عنوان «الاختلاط التفاضلي ومبادىء التعلم المنقحة».

وفي هذه الدراسة عني «آدامز» على وجه الخصوص – بعد مناقشة أسباب تأخر اختبار نظرية «سذرلاند» والتي تعود إلى مشكلات منهجية ونظرية تتعلق بالمفاهيم والمتغيرات التي تضمنتها النظرية – بعرض الأخطاء الأساسية التي وقع فيها بعض الباحثين، ومناقشة تلك الأخطاء، وقد اختار من أولئك كلا من «بيرجس» (Burges) و«إيكرز» (Akers) [٢].

فقد قام كل من «بيرجس» (Burges) و«إيكرز» (Akers) بدمج الافتراضين الأول والثامن عند «سذرلاند» ووضعاهما في افتراض واحد على النحو التالي :

«يتم تعلم السلوك الإجرامي وفقاً لأسس التكيف الفعال».

وأشارا إلى أنه رغم أهمية التفاعل الرمزي، إلا أنه لا يعد سبباً كافياً لتفسير السلوك الإجرامي، وهما بذلك يثيران بعضاً من الشك حول الافتراض الثاني من نظرية «سذرلاند» والذي يقول إن تعلم الجريمة يتم من خلال التفاعل والاتصال.

كما ذكر «آدامز» أن «بيرجس» و«إيكرز» قد قاما بتعديل الافتراض الثالث عند «سذرلاند» على النحو التالي «**إن الجماعات الحميمة تشمل كل مصادر تدعيم وتأييد الموقف الشخصي**»، وتشمل فيما تشمله وسائل الإعلام و«الجماعات

---

1) In (Social Problems, Vol. 20, No. 4. Charlott, North Carolina, 1973) p. 458 - 467.
2) Ibid, p. 460 - 465.

المرجعية » (Reference Groups) .

كما عدل العالمان الافتراض الرابع وغيرا مفهوم « الترشيد » (Rationalization) وهو مفهوم عقلي، وأشارا إلى أن المواقف والميول لا يتم تعلمها من الحوافز الإيجابية فقط، بل يمكن تعلمها من الحوافز السلبية أيضاً .

أما تعديلهما للفرض الخامس عند « سذرلاند » فلا يعدو أن يكون مجرد إعادة صياغة لمضمون الفرض، فاستخدام مصطلح مؤثر محل مصطلح مدعم لا يعني شيئًا جديداً، فالعنصر المدعم هو عنصر مؤثر، وعندما يقف تأثيره أو ينعدم فإنه حينئذ لا يكون مدعمًا . ويتفق « برجس » و« إيكرز » مع « سذرلاند » حول الفرض السادس، فالسلوك الإجرامي هو وظيفة للمعايير المميزة للسلوك الإجرامي والذي يحدث تعلمه كلما تم تعزيزه بدرجة تفوق تعزيز السلوك اللاإجرامي .

ويعلق « ريد آدامز » على ذلك بقوله إن موقف « برجس » و« ايكرز » في الفرض السادس يتعارض مع موقفهما في الفرض الثاني، حيث سمحا بإدخال المتغيرات غير الاجتماعية إلى الفرض السادس أيضًا، وتبقى صلاحية المتغيرات غير الاجتماعية التي أشار بها « برجس » و« ايكرز » رهن الاختبار والتجريب . وإذا ما ثبتت صلاحيتها في اكتساب السلوك الإجرامي، أمكن تعديل نظرية « سذرلاند »، وإذا لم تثبت مصداقيتها تأكدت كفاية نظرية « سذرلاند » كما هي، ولحين إجراء اختبارات أخرى .

ويشير « ريد آدامز » إلى ضرورة التمييز بين مرحلتين في السلوك الإجرامي أحدهما اكتساب السلوك، والأخرى هي الحفاظ عليه واستمراريته . ويبدو أن « سذرلاند » قد اهتم بالمرحلة الأولى فقط، فإذا تم اكتساب وتعلم السلوك تنتهي المرحلة الأولى ويصبح الاختلاط التفاضلي عديم الأهمية .

الدراسة الرابعة:

دراسة «روبرت ل. برجس ورولاند إيكرز»

(Robert L. Burges and Ronsld Akers)

إعادة تدعيم نظرية الاختلاط التفاضلي في السلوك الإجرامي »

(A Differential Association: Reinforcement Theory Of Criminal behavior) (1).

قام كل من « روبرت ل. برجس » و« رونالد ل. إيكرز » بإعادة النظر في نظرية « ادوين سذرلاند » في الاختلاط التفاضلي، وتمخض مجهودهما عن ورقة بحثية بعنوان، إعادة تدعيم نظرية الاختلاط التفاضلي في السلوك الإجرامي. ويشيران في بداية بحثهما أنه رغم ما توافر عن نظرية « سذرلاند » من كتابات كثيرة إلا أنها لا تزال موضعاً للاختبارات الأمبريقية، ولا يخفى أنها تقوم على أساس افتراضات نظرية التعلم في خلال الخمسة والعشرين عاماً الماضية.

ولم يكن « سذرلاند » نفسه قادراً على اختبار نظريته أو تقديم الدعم الأمبريقي لها، ولكنه كان مقتنعاً بالأسس النظرية التي تقوم عليها نظريته من ناحيتين هما:

١ ـ الاختلاط التفاضلي « التطوري » (Genetic, Differential Associa(tion).

٢ – التنظيم الاجتماعي التفاضلي « البنائي » (Structural, Differential Social Organization).

وعلى الرغم من أن النظرية قد حظيت ببعض الاختبارات الأمبريقية إلا أن بعض النتائج لم تؤيدها، ويجمع العديد من الباحثين على وجود صعوبة في « المعالجة الإجرائية » (Operational Treatment) للمفاهيم التي تقوم عليها النظرية، ولذلك اقترح الباحثان ضرورة تعديل بعض من تلك المفاهيم لتصبح أكثر

---

1)In (Social Problems, Vol. 14, No. 4. University of Washington, 1966) pp. 128 - 147.

سهولة للاختبار التجريبي، كما أن مراجعة أسس التعلم صارت أمراً مطلوباً، وليس من شك في أن التنظيم الاجتماعي التفاضلي «البنائي» كان ناجحاً في توضيح وفهم متغيرات «معدلات الجريمة» (Crime Rates) ، ولكن الاختلاط التفاضلي كان أقل نجاحاً في إيضاح الإجراء الذي يحقق هذا الاختلاط التفاضلي الإجرامي الفردي.

ويشير «س. جيفري» (C. R. jeffery) إلى أن نظرية التعلم قد تطورت إلى الدرجة التي تبدو فيها إمكانية إعادة صياغتها نظرية الاختلاط التفاضلي صياغة أكثر تفصيلاً وقبولاً للاختبار، ويجد هذا الاتجاه قبولاً لدى الباحثين، ومن جانب آخر قرر الباحثان «أنه يجب إعادة تلك الصياغة بأسلوب شامل قبل توقع قبول الآخرين لها، فالكم الهائل من البحوث التجريبية في علم النفس الاجتماعي والتعلم يوضح أن مفاهيم نظرية التعلم قابلة للصياغة الإجرائية، ومن ثم فإن تطبيق مجموعة من المفاهيم التعليمية المتكاملة على الاختلاط التفاضلي سوف يساعد كثيراً في تقديم العون اللازم لاختبار النظرية أمبريقيا».

ويهدف كل من «برجس» و«إيكرز» إلى إعادة طرح نظرية الاختلاط التفاضلي في ثوب جديد، خاصة وأن «دي فلير» و«كويني» (*) قد أكدا على أن افتراضات نظرية «سذرلاند» متناسقة ومتسقة داخليًا، إضافة إلى إبراز عملية التعلم كعملية سلوكية، وإعادة صياغة النظرية فرضاً فرضاً في ضوء المعرفة الحالية عن عملية التعلم، بحيث تتضح الشروط التي يتم اكتساب السلوك الإجرامي في ضوئها.

ويوضح الجدول التالي التعديلات والصياغات التي قدمها كل من «برجس» و«إيكرز». (١).

(*) انظر الدراسة الخاصة بهما في تقويم نظرية سذرلاند ص ٨٢ من هذه الرسالة.

1) Ibid, p. 146.

	افتراضات سذرلاند	افتراضات بيرجس وإيكرز
١	* السلوك الإجرامي سلوك مكتسب بالتعلم. * تعلم السلوك الإجرامي يتم عن طريق الاختلاط بالأنماط الإجرامية وغيرالإجرامية، وبما تتضمنه هذه الأنماط من ميكانزمات وأساليب توجد في أي عملية تعلم أخرى.	* السلوك الإجرامي سلوك مكتسب يتم تعلمه في ضوء أسس التكيف الفعال..
٢	* يتم تعلم السلوك الإجرامي من خلال التفاعل والاتصال بأشخاص آخرين.	* يتم تعلم السلوك الإجرامي من خلال التفاعلات الاجتماعية والمواقف الاجتماعية المحبذة للسلوك الإجرامي.
٣	* يحدث الجزء الرئيسي في تعلم السلوك الإجرامي في إطار الجماعات الأولية الحميمة.	* يتم تعلم الجزء الرئيسي من السلوك الإجرامي في تلك الجماعات التي تمثل مصدراً أساسياً لتدعيم الشخص في الذي يتعلمه.
٤	* تتضمن عملية تعلم السلوك الإجرامي ما يلي: أ - أساليب ارتكاب الجرائم سواء كانت بسيطة أو معقدة. ب - بواعث ودوافع واتجاهات في تبريرات السلوك الإجرامي.	* تتضمن عملية تعلم السلوك الإجرامي الأساليب والتكتيكات والاتجاهات الإجرامية، وأيضاً سبل تجنب الجريمة والابتعاد عنها. ويعتبر ذلك وظيفة للعوامل الفعالة وأدوات الدعم المتاحة.

1) Ibid, P 146.

	تابع افتراضات سذرلاند	تابع افتراضات بيرجس وإيكرز
٥	* يتم تعلم بواعث ودوافع واتجاهات وتبريرات السلوك الإجرامي من خلال التعريفات المؤيدة للقواعد القانونية أو الداعية إلى انتهاكها.	* السلوكيات الإجرامية التي يتم تعلمها وتكرارية حدوثها عبارة عن وظيفة للعوامل الإجرامية الفعالة والمتاحة ومعايير وضوابط تطبيقها.
٦	* يصبح الشخص منحرفًا أو مجرماً إذا تغلبت لديه التعريفات المحبذة لانتهاك القانون على التعريفات غير المؤيدة للخروج على القانون.	* السلوك الإجرامي هو وظيفة للعوامل الداعية له، ويحدث السلوك الإجرامي عندما يتم تدعيم هذه العوامل بشكل يفوق تدعيم العوامل غير الإجرامية.
٧	* يختلف الاختلاط التفاضلي من حيث التكرار والمدة الزمنية والأولوية والشدة.	* تعتبر قوة السلوك الإجرامي وظيفة مباشرة وتكرارية واحتمالية تدعيم هذا السلوك.
٨	* رغم أن السلوك الإجرامي هو تعبير عن القيم والحاجات العامة، إلا أنه لا يتم شرحه من خلال تلك القيم والحاجات العامة، وذلك لأن السلوك غير الإجرامي هو تعبير عن ذات القيم والحاجات.	* (ليس لها مقابل وحذفها (*) بيرجس وإيكرز من الافتراضات التي توصلا إليها).

1) Omit From Theory. Ibid, p. 146.

الدراسة الخامسة:

دراسة «تشارلز تايتل، ماري بيرك، والتون جاكسون»

(Charles Tittle, Mary Burke And Elton Jackson)

«عرض لنظرية سذرلاند في الاختلاط التفاضلي: توضيح أمبريقي».

(Modeling Sutherland's Theory of Differential Association: Toward an-empirical clarification) (1).

ركز الباحثون في هذه الدراسة على بناء نموذج تصوري (Conceptual Model)، يبلور ويحدد بدقة المفاهيم والمتغيرات الرئيسية في نظرية «سذرلاند» في الاختلاط التفاضلي كقوة تفسيرية أساسية في تفسير السلوك الإجرامي، وتستند مقومات النموذج المقترح إلى دراسات مسحية (Survey Studies) عن الشباب والجريمة.

وتؤكد نتائج هذه الدراسات ما ذهب إليه «سذرلاند» بأن الاختلاط التفاضلي يلعب دوراً هاماً في السلوك الإجرامي، حيث تبين أن الاختلاط التفاضلي بالقيم المحبذة للجريمة يزيد من حافزية صاحبه نحو توقع سلوكه الإجرامي في المستقبل، وذلك في خمسة أنواع من الجرائم، أما في الجريمة السادسة وهي تعاطي الماروانا، فقد تبين أن تأثير الاختلاط التفاضلي على الجريمة هو تأثير غير مباشر إلى حد بعيد.

ويأخذ الباحثون على «سذرلاند» أنه ترك معظم مفاهيم نظريته غير محددة تحديداً دقيقًا مما أدى إلى اختلافات في تفسير النظرية وجعل من الصعب مقارنة النتائج التي توصل إليها بعض الباحثين مثل «آدامز» (Adams) و«شورت» (Short)، كما أن «سذرلاند» لم يبين بوضوح كيفية التأثير المتبادل بين المتغيرات في نظريته، مما أدى إلى تعدد الاستنتاجات والنماذج السببية، والتي يمكن تمييز

---

1) In (Social Forces. Vol. 65, 2, University of North Carolina Press, Chapel Hill, North Carolina, 1986)pp: 405 - 432.

خمسة منها على النحو التالي: (١).

١ ـ اختلاط محددات إجرامية – يطور نظرة إجرامية – تؤدي إلى سلوك إجرامي.

٢ – اختلاط مفرد مع محددات إجرامية – يؤدي مباشرة إلى سلوك إجرامي.

٣ – اختلاط مفرد بمحددات إجرامية – يؤدي مباشرة وبصورة غير مباشرة معاً إلى سلوك إجرامي.

٤ – نظرية إجرامية – تؤدي إلى سلوك إجرامي بغض النظر عن مصدر النظرة الإجرامية.

٥ – مجرد وجود محددات إجرامية – تؤدي إلى سلوك إجرامي دون أي اعتبار للاختلاط بهذه المحددات (*).

والدليل الأمبريقي على مصداقية النظرية ما زال أمراً غير مؤكد بسبب عدم قياس المتغيرات بصورة كافية، أو بسبب التطبيق الخاطىء، كما أن معظم الأبحاث قد فشلت في تأسيس نظام سببي.

ولتلافي هذه الأمور أجرى الباحثون الثلاثة مسحهم الشامل لعينه عشوائية من الشباب، واعتمدوا على التقارير الذاتية للمبحوثين ومقاييس المتغيرات النظرية وطبقوا دراستهم على ستة أنواع من الجرائم هي:

١) العدوان.

٢) التزوير في دفع ضرائب الدخل الشخصي.

٣) سرقة ٥ دولارات إلى أقل من ٥٠ دولار.

٤) سرقة ٥٠ دولار فأكثر.

٥) القمار غير المشروع.

(*) انظر الأشكال البيانية التي توضح المتغيرات المختلفة في علاقتها بالسلوك الإجرامي – ملحق رقم (٤)

1) Ibid, ps: 407.

٦) تدخين المارجوانا .

ولقد توصل الباحثون الثلاثة إلى أن الاختلاط التفاضلي يؤدي إلى الجريمة من خلال تأثيره أساساً على « دافعية الجريمة » (Crime Motivation) ولكن هناك بعض التحفظات، فنظرية « سذرلاند » لم تقدم تفسيراً كافيًا وكاملاً لاحتمال ارتكاب الجرائم الست التي تمت دراستها، وهذا يرجع جزئيًا إلى خطأ في المقياس ومن ثم لا يمكن تعميم النظرية على كل أنواع الجرائم .

ويقترح الباحثون الثلاثة اختبار النموذج الذي توصلوا إليه على أبحاث مستقبلية مع جرائم إضافية متنوعة وباستخدام مقاييس أفضل للمتغيرات . وبهذه المحاولة يمكن استيعاب المتغيرات الإضافية التي يقترحها الباحثون من أجل التفسير العام والشامل الذي اعتقد « سذرلاند » أنه قدمه .

الدراسة السادسة :

دراسة «التون جاكسون ، «تشارلز تايتل» ، «ماري بيرك»

(Elton Jackson, Charles Tittle and Mary Burke)

« انتهاك نماذج محددة لعملية الاختلاط التفاضلي »

(Offense specific models of the differential association process) (1)

من الدراسات التقويمية الهامة في نقد نظرية « سذرلاند » تلك الدراسة التي قام بها كل من « تشارلز تايتل »، و« ماري بيرك »، و« التون جاكسون » بعنوان « انتهاك نماذج محددة لعملية الاختلاط التفاضلي » . **وينطلق الباحثون الثلاثة في دراستهم نحو تحقيق الأهداف التالية :**

١ – توضيح الغموض الذي يعتري النظرية من الناحية « البنائية والسببية » (Causal and structure).

٢ – الكشف عن « المتغيرات الوسيطة » (Intervenentionist Variables)

1) In (Social Problems, vol. 33, No. 4. Indiana University, Bloomington, Indiana, 1986 pp. 336 - 356.

بين الاختلاط والسلوك الإجرامي.

٣ ـ التعرف على مدى شمولية الاختلاط التفاضلي.

٤ ـ التعرف على الأفعال التي تشرحها نظرية الاختلاط التفاضلي.

ونظراً لأن عدداً كبيراً من الباحثين قد فسروا العلاقات البنائية والسببية المتضمنة في نظرية «سذرلاند» تفسيرات مختلفة، لذلك يؤكد «تايتل» وزملاؤه، على أن النظرية يعتريها شيء من الغموض، وإلا ما حدثت تلك التفسيرات المتباينة لذات الفروض، ويأخذون كذلك على «سذرلاند» أنه لم يوضح المتغيرات الوسيطة والعلاقات المتداخلة بين مكونات فروض نظريته، كما أن معظم المفاهيم التي استخدمها «سذرلاند» تشير إلى الجريمة بصفة عامة وليس إلى نوع معين من الجرائم أو إلى جريمة بذاتها.

وقد توصل الباحثون الثلاثة إلى النتائج التالية: (١).

١ ـ إن الاختلاط بالمعاني المحبذة للإجرام أو الانحراف يؤدي إلى المزيد من الإجرام والانحراف.

٢ ـ إن عملية الاختلاط التفاضلي ثبتت مصداقيتها بالنسبة لسلسلة من الجرائم، وكذلك بالنسبة لفعلين آخرين غير إجراميين، ومن ثم يمكن القول إن نظرية «سذرلاند» تصدق وتنطبق على أكثر مما ادعى هو نفسه، وتشمل أي شكل من أشكال الانحراف وليس فقط الانحرافات المخالفة للقانون.

٣ ـ إن الوسائل الاجتماعية المحبذة لأشكال مختلفة من السلوك الإجرامي والانحراف يمكنها أن تشكل عدة ميادين مختلفة وليس ميداناً واحداً

---

(١) انظر ملحق البحث رقم (٤).

لكل أنواع الجريمة والانحراف.

ويقدم الباحثون شكلاً بيانيًا [1] يوضح المتغيرات المختلفة التي استخدموها والعلاقات بين هذه المتغيرات.

والواقع أن نظرية «سذرلاند» لا تحاول اختبار الاختلاط التفاضلي في حد ذاته، ولكنها تهتم بآثار هذا الاختلاط على متغيرات أخرى، وفضلاً عن ذلك فإن «سذرلاند» قد زعم بأن نظريته تحتوي على كل الشروط الضرورية والكافية للسلوك الإجرامي، مشيراً بأن الإجرام لا يتأثر بعوامل غير تلك المحددة في نظريته، إلا أنه يجب علينا الأخذ بعين الإعتبار المتغيرات السابقة التي يمكن أن تزيد من الإفراط في تعرض النفس للعبارات الانحرافية. وكذلك المتغيرات التي يمكن أن يكون لها تأثير مباشر على المتغيرات الداخلية في النسق، حيث أدخل الباحثون الثلاثة ثلاثة عشر متغيراً خارجيًا كأدوات في هذا التحليل، في سبيل الحصول على تقدير الآثار التي يمكن أن تحدث بين المتغيرات الداخلية الستة، **وهذه المتغيرات الخارجية تتضمن إحدى عشر متغيراً ديموغرافياً أو متعلقاً بصفات خلقية، ومتغيرين كمقياسين - موقفي وإدراكي- وهي:** [2].

١) العمر.

٢) درجة التعلم.

٣) الخلفية الخلقية.

٤) النوع (أنثى أو ذكر).

٥) الدخل العائلي.

٦) الرتبة الوظيفية.

٧) الارتباط العائلي.

---

1) Ibid, p. 337.
2) Ibid, p. 339.

٨) حجم المدينة .

٩) الديانة .

١٠) الحضور للكنائس .

١١) عدد المرات التي أوقف فيها .

١٢) اهتمام المجتمع المحلي، (مدى الاهتمام الذي يظن الفاعل أن مجتمعه المحلي يهتم بكيفية تصرفه) .

١٣) إمكانية اكتشاف أمره، (تقدير الفاعل إمكانية اكتشاف ما يقوم به من قبل فرد لا يؤيده على ما يقوم به من مخالفات) .

وقد قام الباحثون الثلاثة بالتركيز على الجرائم الست التي سبق تناولها في الدراسة السابقة لهم، ثم أضافوا فعلين آخرين انحرافيين ولكن غير إجراميين هما الكذب على الزوجة أو الصديق، وعدم الوقوف احتراماً للسلام الوطني .

وبتقدير النماذج المتعلقة بكل واحدة من هذه المخالفات فإنهم يأملون بتقييم مدى الشمولية لنظرية الاختلاط التفاضلي بصفة أعمق مما كان ممكناً في معظم البحوث السابقة .

ويجب النظر إلى النتائج التي توصل الباحثون إليها بشيء من الحذر، حيث اشتملت معظم المقاييس التي استخدموها على نسبة من الخطأ المعروف باسم « الخطأ العشوائي » (Random Error)، كما أن التأثير المفترض للاختلاط على « التسامح » (Tolerance) وتأثير قبول السلوك الإجرامي على الدافعية لم يكن ذا قيمة تذكر، **ومع ذلك يمكن استخلاص النتائج التالية** : [١] .

١ ـ الاختلاط المتزايد مع العناصر المحبذة للسلوك الإجرامي يؤدي إلى زيادة الدافعية لارتكاب السلوك الإجرامي بطريقة غير مباشرة .

---

1) Ibid, p. 352 - 354.

٢ – تصدق العلاقة السببية بين الاختلاط التفاضلي والسلوك الإجرامي على عدد من الجرائم المختلفة، وفعلين من أنماط السلوك غير الجانح.

٣ – تشكل الأنماط المحبذة للصور المختلفة من السلوك الإجرامي والانحرافي مجالاً خاصة بالعديد من المتغيرات المستقلة.

ويؤكد الباحثون في نهاية بحثهم أن «سذرلاند» كان محقاً في تأكيده على أثر الاختلاط التفاضلي مع الأنماط المحبذة للجريمة على ارتكاب السلوك الإجرامي وإفراز صور جديدة من الجنح إضافة إلى الأفعال الإجرامية، كما أن زيادة الاختلاط التفاضلي لها أثرها في التنبؤ الذاتي بالسلوك الإجرامي والانحرافي وذلك بزيادة الدافعية.

وبصفة عامة فقد وجد الباحثون أن الإفراط في المخالطة يؤثر على التنبؤ بالذات في الإجرام غالبًا من خلال زيادة الدافع الإجرامي، ولكن ليس من خلال تعليم وتلقين اتجاهات وتبريرات مطابقة للأفعال المنحرفة، وهناك حاجة ماسة إلى المزيد من الأعمال العلمية لتحديد طبيعة عملية الاختلاط التفاضلي.

الدراسة السابعة:

دراسة «ي. س. سيمهادري» (Y.C. Simhadri)

«الاختلاط التفاضلي والقبائل المعروفة بإجرامها»

(Differential Association And Denotified Tribes) (1)

ومن الدراسات التقويمية الجادة لنظرية الاختلاط التفاضلي ما قدمه «ي. سيمهادري» في اختباره للنظرية على الهنود المجرمين، وذلك تحت عنوان «الاختلاط التفاضلي والقبائل المعروفة بإجرامها».

وتنطلق الدراسة من فرض مؤداه أن السلوك القبلي الإجرامي هو سلوك بشري

---

1) In (Social Indian Journal of Social Work. vol. 39. No. 2. AndhraUniversity Waltain India. July 1978) pp: 161 - 174.

يتم تعلمه عن طريق الاختلاط التفاضلي الوثيق بأفراد قبيلة آخرين، ويوجد بالهند حوالي خمسة ملايين نسمة من القبائل الإجرامية، وهم يعيشون في مختلف أجزاء الهند بأسماء محلية تخصهم، ومن خلال تحليل البيانات التي توفرت للباحث توصل إلى صحة الافتراض الأول من افتراضات نظرية « سذرلاند » وهو أن السلوك الإجرامي يكتسب عن طريق التعلم ويتم تعلمه بالاختلاط الوثيق بمجرمين آخرين.

كما توصل الباحث إلى مصداقية الفرض الثاني والثالث لنظرية « سذر لاند »[1] حيث اكتشف أنه يتم تعلم الجريمة في أوساط القبائل عن طريق عملية الاتصال ومن خلال التفاعل مع مجرمين آخرين في هذه القبائل وباستخدام اللغة الخاصة بهم. وليس من شك في أن العلاقات الشخصية داخل العوائل التقليدية والقبائل غالباً ما تكون حميمة ووثيقة، ومن ثم يتعلم الطفل الجريمة بسهولة من مخالطة العناصر الإجرامية إن وجدت بالعائلة أو القبيلة التي ينتمي إليها.

كما يلعب الجوار دوراً هاماً في التفاعلات والاتصالات التي تعزز اكتساب الجريمة وتعلمها، فالطفل الذي ينشأ ويشب في محيط وجوار مفعم بالجريمة ينمو ويكتسب السلوك الإجرامي لأن من يختلط بهم من الرجال والنساء يكونون إما عتاة مجرمين أو عابثين مفسدين، كما أن المتجمع الذي يعيشون فيه يجعل من حياة المجرم نموذجًا مثاليًا لهم، كما أن السلوك الإجرامي القبلي يتم تعلمه عن طريق الاختلاط الوثيق مع القبائل الأخرى.

ويوجد لكل طائفة هندية مجلس يحفظ سجلاً لأفراد القبيلة وينظم الجرائم وينتدب أفراداً نشيطين لمهام محددة مثل النهب والسلب أو ارتكاب السرقة، ويعمل على توزيع المسروقات على الأفراد حسب نسبة إسهام كل منهم. وبالإضافة

---

1) Ibid, ps: 164 - 168.

إلى العائلة والقبيلة التي ينتمي إليها المجرمون فإن المجتمع العام الذي يحيط بهم يوفر عموماً مناخاً ملائماً لممارستهم الإجرامية، كما أن الفلسفة الهندية قد بنيت على نظريات «كارما» (Karma)، و«دهارما» (Dharma) اللذان أعطيا سنداً روحياً للمجرمين، وهكذا أصبح الشخص في القبيلة لا يدرك أبداً أنه يرتكب جريمة.

كما تبين من الدراسة التي أجراها «سيمهادري» أن القبائل الإجرامية تقوم بتعليم مهنة الجريمة وتدرس الخدع الخاصة بها لأطفالها منذ الولادة، والوالدان يربيان أطفالهم ويدرسان لهم فلسفة الجريمة لدى قبيلتهم، وعندما ينمو الأطفال ويكبروا فإنهم يقومون بدورهم في تدريب الصغار نفس الطريقة التي تعلموها من والديهم، وعن طريق هذا الانتقال للقيم والمهارات من جيل لآخر تستمر «الثقافة الإجرامية» (Criminal Culture)، وهكذا تؤكد الدراسة مصداقية الافتراض الرابع من افتراضات نظرية «سذرلاند» والخاص بحاجة تعلم السلوك الإجرامي إلى أساليب محددة وتكتيكات خاصة.

كما تؤكد البيانات مصداقية الافتراض الخامس في نظرية «سذرلاند» والذي مؤداه أن الفرد في بعض المجتمعات يكون محاطًا بأشخاص لا يأبهون بالقانون ويساعدون على مخالفة النظام، وفي حالة القبائل الإجرامية بالهند نجد أن الرجال والنساء الذين يتم الاختلاط بهم إما مجرمين عتاة أو منحرفين، والأسوأ من ذلك أن المجتمع الذي يعيشون فيه تتوفر فيه القيم والتقاليد التي تجعل الحياة الإجرامية هي النموذج المثالي لهم، وتحت هذه المساعدة على مخالفة القانون تتعلم القبائل الإجرامية الميول الإجرامية، وفي ظل أبوين مجرمين وقبيلة مجرمة يتعلم الشخص السلوك الإجرامي بمن يختلط بهم [1].

1) Ibid, p: 170.

كما تكشف الدراسة عن مصداقية الافتراض السابع عند «سذرلاند»[1]، حيث تؤكد أن القيم الاجتماعية للقبائل الإجرامية تنطوي على احترام وتقدير للخارجين على القانون، فيشيع عند بعض القبائل عدم تزويج بناتهم إلا لأزواج يثبتون كفايتهم كلصوص، كما أن المسافات الاجتماعية والعزلة التي يفرضها المجتمع بين طوائفه وقبائله تحول دون تغيير اتجاهات وقيم القبائل الإجرامية والتزامها بالنظام والقانون.

كما أسهمت بعض مبادىء الديانة الهندوسية مثل الإحسان إلى المتسولين والرهبان في اتخاذ المجرمين ثوب المتسول أو الراهب كستار يخفي من ورائه السلوك الإجرامي، كما أن نظام الطبقات المغلقة (Caste System)، يجعل الفرد أسيراً للطبقة التي ينتمي إليها، ومن ثم يتعلم قيم وسلوكيات هذه الطبقة.

أما مسألة اختلاف الاختلاط التفاضلي من حيث التكرار والمدى والأسبقية والشدة فهذا لا ينطبق على حالة القبائل الإجرامية بالهند لأن الفرد يولد ويعيش ويموت في أحضان عائلته وقبيلته.

ويختم «سيمهادري» ورقته البحثية بالتأكيد على أن الجريمة عملية تعلم واكتساب، والقبائل تتعلم الإجرام من خلال تفاعلاتها الحميمة مع غيرها من المجرمين، والطفل يربى على الجريمة منذ نعومة أظفاره، ولما كان الأطفال يحرمون من فرصة التعلم بالمدارس كان لزاماً أن يمكثوا مع والديهم ويأخذوا عنهم العادات والاتجاهات والقيم والمعتقدات الإجرامية، وليس هذا فحسب بل إن الوالدين يقومان بتلقين أبنائهم الجريمة كمهنة، كما أن الجيرة والجماعات المرجعية للأبناء هي نماذج إجرامية قبلية، ومن ثم يتشبعون بالقيم والاتجاهات الجماعية التي يعيشون وسطها وتترسخ وتدعم هذه العملية التعليمية بقوة النظام القبلي وسطوته

---

1) Ibid, p. 172.

وسلطان الديانة الهندوسية التي تدعو كل فرد إلى تقلد وممارسة المهنة التي جاءت إليه بالميلاد، عليه فالقبائل الإجرامية تمتهن الجريمة.

الدراسة الثامنة:

دراسة «جيمس ر. سيبرج» (James Seaberg)

«التكيف الفعال والاختلاط التفاضلي: نحو منظور تطبيقي ومحقق»
(Operant Conditioning and Differential Association: Toward Application And Verification) (1).

من الدراسات التقويمية لنظرية «سذرلاند» ما قام به «جيمس ر. سيبرج» وتحت عنوان «التكيف الفعال والاختلاط التفاضلي: نحو منظور تطبيقي ومحقق».

ويشير «جيمس سيبرج» في بداية ورقته العلمية المذكورة إلى أنه رغم أن نظرية «سذرلاند» في الاختلاط التفاضلي تعد من أوسع النظريات التي خضعت للحوار والمناقشة وأعيدت صياغتها في أشكال متعددة ومنها التكيف الفعال، إلا أن تمحيصها الأمبريقي يكاد يكون مستحيلاً. وقد أشار «دونالد كريسي» إلى منظور عكسي للنظرية بمقتضاة يتعلم المجرم السلوك غير الإجرامي.

ويعتقد «سيبرج» أنه يقدم في هذه الورقة طرحًا جديداً أكثر دقة مما قدمه «كريسي» وذلك باستخدام مبادىء التكيف الفعال لزيادة طواعية النظرية للاختبار الأمبريقي، ويشير «سيبرج» إلى المحاولة التي قام بها كل من «برجس» و«إيكرز» في صياغة نظرية «سذرلاند» في سبعة افتراضات، والتي قوَّما من خلالها مفهوم «سذرلاند» عن دور التعلم والاتصال والتفاعل في اكتساب السلوك الإجرامي، وذلك من خلال تقديمهما لمفهوم التكيف الفعال، ومن المعروف أن النقد المتكرر

---

1) In (Journal Of Offender Counseling, Services and Rehabilitation, Vol. 5. (3/4). University of Verginia, The Haworth Press, Virginia, Spring summer, 1982) pp. 53 - 64.

لنظرية «سذرلاند» ينصب على عدم اهتمامها بتطور السلوك غير الإجرامي، فيما عدا محاولة «كريسي» و«ريتافولكمان» في إصلاح المدمنين، وقد تبين لهما أن المدمن بمجرد أن يصبح عضواً حقيقيًا في مجتمع معاد لتعاطي المخدرات فإن احتمال رجوعه إلى تعاطيها سينخفض حتماً.

ولتحقيق الإصلاح والتأهيل واكتساب السلوك غير الإجرامي يرى «سيبرج» ضرورة توافر الشروط التالية: [1].

١ ـ القيم التي تساعد على السلوك الملتزم بالقانون.

٢ ـ الهدف المشترك لإصلاح المجرمين الآخرين.

٣ ـ التماسك الذي يساعد على زيادة تأثير أنماط الجماعة على أعضائها.

٤ ـ المركز الذي يمكن تحقيقه من خلال إظهار السلوكيات والقيم غير الإجرامية.

وهناك شرط إضافي في أن تكون المجموعة مكونة في غالبيتها من غير المجرمين.

وهذه الشروط هي أساس العملية التي يطلق عليها «كريسي» «الإصلاح العكسي» (Retroflexive Reformation)، **ويمكن عرضها في نظر «سيبرج» من خلال التكيف الفعال على النحو التالي:** [2].

١ ـ أن يتم استيعاب الفرد المجرم في جماعة أولية هدفها استبعاد السلوك الإجرامي من مخزونات سلوك الأفراد الآخرين.

٢ ـ أن تكون الجماعة من أفراد مخزوناتهم السلوكية لا تتضمن سلوكاً إجرامياً.

٣ ـ أن تكون أفعال الجريمة مميزة وداعمة للسلوك غير الإجرامي والقيم غير الإجرامية.

---

1) Ibid, p. 61.
2) Ibid, ps: 61 - 62.

٤ – أن يتحقق المركز في الجماعة على أساس كمية وإيقاع واحتمال التدعيم الذي يعطيه كل عضو للأعضاء الآخرين من دعم لسلوكياتهم غير الإجرامية.

٥ – أن تكون الجماعة مصدراً رئيساً للتدعيم الإيجابي المتماسك.

ويشير «سيبرج» في النهاية إلى أنه إذا ما ثبت نجاح مبادىء التكيف الفعال التي طرحها آنفا عند تطبيقها، وصاحب التطبيق انكماش وتقليل للسلوك الإجرامي، فإن ذلك يعني درجة من التأكيد لمصداقية «سذرلاند».

الدراسة التاسعة:

دراسة «جاري جنسن» (Gary. F. Jensen)

«العلاقة بين الآباء والأبناء وأثرها على ظاهرة الجنوح: اختبار لنظرية الاختلاط التفاضلي».

(Parents, Pears, and delinquent action: A test of the Differential Association: Perspective) (1).

تحاول هذه الدراسة اختبار أثر تورط الآباء والأصدقاء، وأثر الدوافع المشجعة على تخطي القوانين على جنوح الصغار، أو العلاقة بين نماذج الحياة العائلية وانحراف الصغار.

كما تحاول الدراسة اختبار بعض الافتراضات المتضمنة في نظرية الاختلاط التفاضلي «لسذرلاند» وهي:

أ – يمكن أن ينفر الطفل من البيت من خلال تعرضه لحوادث وتجارب منفرة أو عدم وجود ما يشجعه على البقاء، وبالتالي تنقص فعاليته كعضو فعال في الأسرة، والعنصر الهام هنا هو أن انعزال الطفل عن عائلته يشجعه على الجنوح أو الانحراف.

1) In (American Journal of Sociology, Vol . 78, No. 3, washington D. C., USA, Nov. 1972, pp. 562 - 575.

ب – يمكن للبيت أن يفشل في تدريب الطفل على التعامل مع المواقف الاجتماعية بأسلوب مهذب، وبقول آخر، فإن أشكال الجنوح قد لا تكون متوفرة داخل المنزل، ولكن تكون العائلة هنا مشجعة أو دافعة للطفل في اتجاه الجنوح، ويعتمد تقبل الطفل لهذا الأمر على علاقته مع أصدقائه خارج المنزل.

وتتضمن الحالة الأولى المواقف الانعزالية أو التغريب عن البيت، وتتضمن الحالة الثانية عدم انعزال الطفل عن العائلة، ولكنها لا تساعده على اتخاذ المواقف وتجنب الكبت أو البعد عن التصورات والمفاهيم المدعمة للانحراف، وفي كلتا الحالتين فإن مسألة انحراف الطفل المعزول داخل الأسرة أو خارجها تعتمد على علاقاته خارج الأسرة (١).

وقد اهتم البحث بفحص العلاقة بين «السلطة الأبوية» (Parental Authority) المباشرة وغير المباشرة وبين انحراف الأبناء، وقد طبق البحث على مجموعة كبيرة غير متجانسة من «المراهقين» (Adolescents) تم اختيارهم عشوائيًا.

وقد قام الباحث في دراسة فرضيات بحثه باستخدام جزء من نتائج بحث شباب مدينة «ريتشموند» الصناعية والذي تم إجراؤه سنة (١٩٦٥م) عن طريق مركز الدراسات المسحية بجامعة «كاليفورنيا» «ببركلي» (*)، ويتألف مجتمع البحث من (١٧٥٠) طالباً ينتمون إلى (١١) مدرسة ثانوية – وقد استبعد منهم السود – ولهذا طبقت الدراسة الحالية على بيانات (١٥٨٨) طالباً فقط.

وتشير نتائج البحث إلى وجود علاقة سلبية (Negative Relation) بين السلطة الأبوية والانحراف، وعن وجود علاقة سلبية بين الآباء والأحداث الذين تم القبض عليهم.

---

*) The Survey Research Center. University of California, At Berkley.

وقد أيدت النتائج نظرية « سذرلاند » التي تشير إلى أن طبيعة الحياة المنزلية للطفل توثر في احتمالية تكوينه لعلاقات قوية مع قرناء منحرفين، وهذا يعني وجود علاقة سلبية بين الإشراف والدعم الأبوي، وبين الاختلاط بجماعات حميمة ممن سبق أن ألقى البوليس القبض عليهم، كذلك فإن هناك علاقة مماثلة مع ميول واتجاهات المنحرفين وإدراكهم لماهية إزعاج الجيران.

وقد كشفت الدراسة – في الوقت نفسه – عن وجود العديد من المراهقين الذين تتم مراقبتهم والسيطرة الجيدة عليهم من الآباء، ومع هذا ينحرفون في سلوكهم دون أدنى درجة من الالتزام بالآداب والأخلاق العامة.

الدراسة العاشرة:

دراسة «ريتافولكمان» و«دونالدكريسي»

(Rita Volkman, Donald Cressy)

«الاختلاط التفاضلي وإعادة تأهيل مدمني المخدرات»

(Differential Association and The rehabilitation of drug addicts)(1)

وهي من الدراسات التقويمية لنظرية « ادوين سذرلاند » في الاختلاط التفاضلي والتي قام بها كل من « ريتافولكمان » و« دونالد كريسي » وذلك تحت عنوان « الاختلاط التفاضلي وإعادة تأهيل مدمني المخدرات ».

وتشير هذه الدراسة إلى أن خمسًا من القواعد أو « المبادىء » (Principles)

1) In (American Journal of Sociology, Vol . 69, No. 2, washington D. C., USA, pp. 129 - 142.

الاجتماعية – النفسية (*) التي قدمها «دونالد كريسي» [1] في عام (١٩٥٥م) قد استخدمت في برامج لتأهيل مدمني المخدرات، ونتج عن اختبار هذه القواعد الخمس أن (٦٦٪) من المدمنين الذي شاركوا في البرنامج لمدة ثلاثة أشهر، و(٨٦٪) من الذين استمروا بالبرنامج لمدة سبعة أشهر على الأقل قد امتنعوا أو توقفوا عن تعاطي المخدرات أو الكحول.

وحاولت «ريتافولكمان» و«كريسي» اختبار مدى صدق نظرية «سذرلاند» وهي نظرية سوسيولوجية في التعلم، من خلال مؤسسة تطبق مبادىء نظرية «سذرلاند»، وليس من خلال برامج وضعت خصيصاً لهذا الغرض. وهذه المؤسسة التي تطبق بالفعل آراء «سذرلاند» والتي أخضعها الباحثان للدراسة من أجل تقويم نظرية «سذرلاند» هي **مؤسسة «سينانون»** (Synanon)، وهي جمعية أسسها المدمنون في مايو (١٩٥٨م) لعلاج المدمنين ومساعدتهم على الإقلاع عن الإدمان.

ومن خلال دراسة اعتمدت على أسلوب «الملاحظة المشاركة (Participant Observation) قامت بها «ريتافولكمان» في مؤسسة «سينانون» لتأهيل المدمنين، تبين أن [2]:

(*) المجالات التي ترتبط بها هذه «القواعد» (Rules) هي:

١ – الحركات الاجتماعية Social Movement

٢ – مكافحة الجريمة Crime Prevention

٣ – العلاج الطبيعي Croup Therapy

٤ – الاتصالات Communications

٥ – تغير الشخصية والتغير الاجتماعي Personality Change, And Social Change

1) Donald, R. Cressry. "Changing Criminal: The Application of the Theory of Differential Association " in American Journal of Sociology, No. XI, Sep. 1955.

2) Ibid, p. 130.

٤ تخرجوا من مؤسسة «سينانون» وأقلعوا عن الإدمان وتعاطي المخدرات.

٢٣ ما زالوا مقيمين بالمؤسسة ولا يتعاطون أي مخدر.

٢٥ تركوا المؤسسة بالرغم من تحذيرات الإدارة لهم.

---

٥٢ إجمالي نزلاء المؤسسة من الجنسين في عام (١٩٥٩ - ١٩٦٠م) الذين خضعوا لدراسة «ريتافولكمان» في رسالتها للماجستير.

كما توصلت الباحثة من خلال دراسة نزلاء المؤسسة حتى أغسطس (١٩٦٢م) **إلى ما يلي**: [1]:

١٠٨ من ٣٧٢ نزيلاً أقلعوا عن الإدمان وتعاطي المخدرات.

١٠٣ من ٢١٥ نزيلاً أعيد تأهيلهم وكانوا لا يزالون مقلعين عن تعاطي المخدرات.

٩٥ من ١٤٣ نزيلاً أعيد تأهيلهم للمرة الثانية وكانوا لا يزالون مقلعين عن تعاطي المخدرات.

---

٧٣٠ إجمالي نزلاء المؤسسة حتى أغسطس (١٩٦٢م).

ويبدو أن هذه الإحصاءات مناسبة بصورة كبيرة، حيث تشير بأنه بمجرد أن يصبح المدمن عضواً بالفعل في جمعية أعداء المخدرات، فإن احتمال أن يترك العضو الجمعية ويعود للمخدرات مرة أخرى يعد احتمالاً ضعيفًا للغاية.

كما أفاد الباحثان بأن رواد «سينانون» لا يرون بأنه في مقدورهم شفاء مدمني المخدرات، ولكنهم منكبون على قياس وتقدير النجاح، وذلك عن طريق الإشارة إلى حقيقة أن الجمعية تشتمل على عضوية (٤٥) شخصًا كانوا من مدمني

---

1) Ibid, p. 138.

الهيروين لمدة عشر سنوات على الأقل، وكان اثنان من هؤلاء مدمنين لمدة تزيد عن ثلاثين عاماً وقضوا هذه المدة في الدخول والخروج من السجون والمعتقلات، وكذلك مستشفى الخدمة العامة الأمريكية وبعض المؤسسات المشابهة.

ويستخدم رواد الجمعية «نظرية التأهيل» (Rehabilitation - Theory) التي تتضمن: «أنه من السخرية بمكان أن نحاول شفاء مدمن المخدرات كما لو كنا نحاول أن نعالجه من ممارسة الجنس، ولكن يمكن مساعدة الفرد على الإقلاع عن المخدرات»، وهذا هو العمل الذي تسهم به «سينانون»، ويعد إنجازها في هذا الشأن واحداً من أعلى المعدلات بالنسبة للمؤسسات الأخرى في مجال إصلاح وتأهيل مدمني المخدرات، ولا يمكن أن نقطع باليقين أن علاقات الجماعة في «سينانون» هي السبب وراء إبعاد المدمنين عن المخدرات والجريمة، ومع ذلك ففي حالة الإقلاع عن الجريمة أو البعد عن تعاطي المخدرات يتم التركيز على اتجاهات معاداة الإدمان مع زيادة مدة البقاء في «سينانون»، مما يقيم الأدلة على صحة نظرية «سذرلاند» عن الجماعة المرجعية، ومفهوم «كريسي» الذي يحدد العلاقات الاجتماعية بأنها عملية تكامل ذات فعالية مع عمليات العلاج للمجرمين المتهمين، **ويعد إدمان المخدرات في الواقع اختباراً قاسيًا لنظرية «سذرلاند» الاجتماعية ومبادىء «كريسي» الاجتماعية، لأن المعنيين يواجهون مشكلة ذات وجهين وهي الجريمة وإدمان المخدرات.**

دراسات أخرى:

بالإضافة إلى هذه الدراسات التقويمية المستقلة، فقد وجد الباحث أن هناك إشارات تقويمية لنظرية «سذرلاند» في الاختلاط التفاضلي جاءت في سياق معالجات مختلفة في هدفها، ونظراً لأهمية هذه الإشارات وارتباطها بالتحليل النقدي للنظرية، فقد رأى الباحث عرضها في هذا المقام، ومن هذه المعالجات:

١ – ما يشير إليه كل من «جون جالهر» و«مارك جايلورد»،

(J. Galliher) و(M،Gay Lord) في ورقة بحثية لهما بعنوان « البروتستانتية الريفية وأصول نظرية الاختلاط التفاضلي » (Rural Protestantism and the Origins of Differential Association Theory) من أن هذه النظرية قد تجاهلت تأثير العوامل المادية في السلوك الإجرامي [1] كما أنها تثير في ذهن الباحث تشبيهاً « لسذرلاند » بعالم الاجتماع الألماني الشهير « ماكس فيبر » والذي لقبه بعض النقاد [*] « بماركس » البورجوازية، حيث تمتد جذور هذا العالم إلى خلفية أسرية كنسية من ناحية، ويستند تعليمه إلى كبار العلماء [**] في عصره بألمانيا من جهة ثانية، إضافة لمعاصرته للشهرة الذائعة « لكارل ماركس » (Karl Marx) من جهة ثالثة، وقد تفاعلت هذه المتغيرات وجعلت فيبر (M. Weber) يقدم إنتاجاً سسيولوجيًا غزيراً توجه بمؤلفه « القيم البروتستانتية والروح الرأسمالية » [2] (Protestant Ethics And the Spirit of Capitalism) والذي يعطي فيه « فيبر » الأولوية للقيم البروتستانتية كمتغير مستقل يقود للنجاح والتقدم، ويخالف في ذلك « كارل ماركس » الذي أعطى الأسبقية للمتغيرات المادية واعتبرها مسؤولة عن « التغير الاجتماعي والثقافي » (Socio - Cultural Change) .

(*) أطلق عليه هذا اللقب الأمريكي وليام ماكدوجال William Mcdogal

(أحمد، سمير نعيم، النظرية في علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٥) .

(**) أمثال « كينز » (Kynes)، وإدمانز دورفر (Arodmans)، و« كونوفيشر » (Kono Fisher)، و« امانويل تيكر » (Emanuel Teker) و« هرمان بوجمارتين » (H. Bogmartin)، و« جولد شمدت » (J. Goldsmits)، و« مومين (Momein) .

– (عودة، محمود، تاريخ علم الاجتماع، دار النهضة العربية، بيروت ص ٢٦١) .

1) Gaylord, M. S. and Galliher, J. F, Rural Protestantism and the origins of Differential Association Theory" Op. Cit. pp 1 - 19.

(٢) أحمد، سمير نعيم، النظرية في علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٠ .

٢ ـ كما يشير « مارشال كلينار » (M. Clinard) في مقال له بعنوان « علماء الاجتماع وعلم الإجرام الأمريكي » (Sociologists And American Criminology) [١] إلى أن « سذرلاند » قد أهمل كلية مكون الخصائص والعوامل النفسية في السلوك الإجرامي، ولم يتعرض لها كلية في نظريته عن الاختلاط التفاضلي.

٣ – ومن الدراسات العربية التي أجريت في إطار نظرية « سذرلاند » دراسة « نبيل السمالوطي » حول الاختلاط التفاضلي وانحراف الأحداث، والتي أجريت على الأحداث المنحرفين لمعرفة أثر الجماعات وأثر جماعات المخالطة على الانحراف سنة (١٩٨٤م) بمصر [٢].

ولقد انطلق الباحث من الافتراضات التسعة لنظرية الاختلاط التفاضلي وقسم مجتمع الدراسة إلى مجموعتين: المجموعة التجريبية وهي مجموعة من الأحداث المنحرفين المودعين بإحدى مؤسسات الأحداث [*] عددهم (٢٤) حدثاً اختيروا بشكل عشوائي، والمجموعة الضابطة وهي من الحرفيين وعمال المقاهي تم اختيارهم بالطريقة العشوائية من نفس المجتمع المحلي أيضًا وعددهم (٢٤) فرداً، وقد روعي في أفراد المجموعتين التكافؤ في السن والمستوى الاجتماعي والثقافي والثقافة المحلية.

(*) هذه المؤسسة « صفط خالد » وهي من المؤسسات المفتوحة في مصر والتي يبلغ عددها ١٢١ موسسة وهي تقع في قرية صفط خالد مركز ايتاي البارود بمحافظة البحيرة.

1) In (Journal of Criminal Law And Criminology, Vol. 41, No. 5, January - February 1951 . pp. 549 - 577.

(٢) السمالوطي، نبيل، دور الأسرة والجماعات الأولية في انحراف الأحداث: دراسة تقويمية لنظرية الاختلاط التفاضلي، المخالطة الفارقة وانحراف الأحداث، دار المطبوعات الجديدة، الاسكندرية، ١٩٩٣م.

وقد كشفت الدراسة أن هناك اختلافات بين المجموعتين ذات دلالة إحصائية فيما يتعلق بعدة متغيرات ركزت عليها الدراسة وأهمها: (١).

أ – **دقة الرقابة الوالدية** واهتمامها بمتابعة الابن.

ب – **نوعية التربية**: حيث كشفت الدراسة عن ارتفاع نسبة التربية التسلطية والتسببية في المجموعة التجريبية بالمقارنة بالضابطة.

ج – **نوعية الأصدقاء**: فأغلب أعضاء الجماعة التجريبية لديهم أصدقاء من المنحرفين بالمقارنة بأعضاء المجموعة الضابطة.

د – **الاتجاهات المدعمة للجريمة والانحراف أو خرق القانون**، ومنها الخروج على القانون مثل تشجيع الاستيلاء على حقوق الغير، والسرقة، والنشل وأكل حقوق الغير، واللجوء إلى المحسوبية والنصب... الخ. هذه الاتجاهات وجدت أكثر لدى أبناء الجماعة التجريبية بالمقارنة بالضابطة.

وأيضًا دراسة «عزة أبو الهدى» عن العوامل الاجتماعية المرتبطة بتعاطي المخدرات دراسة اجتماعية بمدينة القاهرة (٢).

وتسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

١ – الكشف عن العلاقة بين الأهداف الذاتية للفرد (الدخل والمهنة والتعليم) وبين تعاطي المخدرات.

٢ – الكشف عن دور الجماعات الثقافية (كجماعة الأصدقاء) التي ينتمي إليها الفرد وبين تعاطيه المخدرات (اختبار نظرية الاختلاط التفاضلي لسذرلاند).

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٥، ١٢٩.

(٢) أبو الهدى، عزة محمد، العوامل الاجتماعية المرتبطة بتعاطي الشباب المصري للمخدرات: دراسة اجتماعية بمدينة القاهرة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ١٩٨م.

٣ ـ الكشف عن العلاقة بين الظروف البنائية المجتمعية في أبعادها السياسية والاقتصادية والثقافية وبين ظاهرة تعاطي المخدرات.

٤ ـ الكشف عن العلاقة بين الإحساس بالاغتراب وبين تعاطي المخدرات.

وحاولت الدراسة تحقيق خمسة افتراضات هي:

١ ـ ثمة علاقة إيجابية بين الأبعاد الذاتية للفرد المتعاطي (كالدخل والتعليم والمهنة) وبين تعاطيه للمخدرات.

٢ ـ للجماعات الثقافية المنحرفة (كجماعة الأصدقاء) دور في إكساب الأفراد المنتمين إليها بطريق المخالطة نماذج سلوكية منحرفة مثل تعاطي المخدرات.

٣ ـ للظروف الأسرية غير السوية علاقة بتعاطي المخدرات.

٤ ـ هناك علاقات إيجابية بين ظاهرة التعاطي وبين الظروف البنائية في المجتمع المصري بأبعادها السياسية والاقتصادية والثقافية.

٥ ـ هناك فروق بين جماعتي المتعاطين وغير المتعاطين على الأبعاد السبعة لمقياس الاغتراب المستخدم في البحث.

وقد اعتمدت الباحثة على ما أسمته المنهج الوضعي من جهة، وعلى الرؤية البنائية الكلية لتفسير أبرز معطيات البحث الميداني، فضلاً عن الاعتماد على المنهج المقارن بين عينة تجريبية وعينة ضابطة، وقد تم اختيار العينة التجريبية من سجلات المتعاطين الذين يتلقون العلاج في المستشفيات والعيادات العلاجية الخاصة وعددهم (٤٠) متعاطياً، وتم اختيار (٤٠) شاباً هم العينة الضابطة من غير المدانين، واستخدمت الباحثة عدة أدوات منها المقابلة الحرة، واستمارة المقابلة، ومقياس الاغتراب.

ويهمنا هنا عرض نتائج الدراسة الخاصة بالافتراض الثاني المتعلق باختبار أحد افتراضات نظرية «سذرلاند» عن الاختلاط التفاضلي، وهو تأثير الجماعات الثقافية المنحرفة» كجماعة الأصدقاء في اكتساب الأفراد المنتمين إليها بطريقة المخالطة نماذج سلوكية منحرفة كتعاطي المخدرات.

وقد كشفت الدراسة أن أفراد العينتين (المتعاطين وغير المتعاطين) أغلبهم لا يعولون أحداً غيرهم، ولا يوجد أحد في الأسرة يتعاطى المخدرات، كما كشفت أن (٨٥٪) من العينة التجريبية حصلوا على المخدرات لأول مرة عن طريق الأصدقاء وأن أول مكان كان جلسة سرية ثم في الشارع، وأن أسباب التعاطي كانت لمجاراة الأصدقاء في المرتبة الأولى ثم الهروب من مشكلات أسرية في المرتبة الثانية.

وأخيراً كشفت آراء العينتين التجريبية والضابطة عن وجود أصدقاء يتعاطون المخدرات، وهذا يختلف مع نظرية الاختلاط التفاضلي التي تقول إن مجرد المخالطة للأصدقاء والدخول معهم في علاقات وطيدة يكسب أفراد المجموعة كلها السلوك الانحرافي (١).

ثالثاً: الانتقادات التي وجهت لنظرية سذرلاند في الاختلاط التفاضلي:

وبعد هذه المعالجة للدراسات والبحوث التقويمية، يورد الباحث هنا خلاصة الاتهامات التي وجهت إلى النظرية ودفاع حامل أفكار «سذرلاند» عنها، ووجهة نظر الباحث فيها.

حيث يشير «دونالد كريسي» (D. CRESSY) في مقدمة الطبعة العاشرة من كتاب علم الإجرام، والذي يحمل غلافه إسم كل من «ادوين سذرلاند» و«دونالد كريسي» إلى أن «نظرية الاختلاط التفاضلي لسذرلاند قد تم وضعها في هذا الكتاب بصياغتها الأصلية دون تعديل» (٢).

ورغم أن النظرية قد تعرضت للنقد وأبديت حيال تطويرها عدة اقتراحات، لذلك رأى الباحث ضرورة مراجعة هذه المرئيات باعتبارها نظرات تقويمية، ولا يعني هذا أن اختبار النظرية قد توقف، فما زالت النظرية رغم مرور ما يزيد عن

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٥ – ١٥٧.

2) Sutherland, E. H. and Cressy. D. R., Criminiology, Op. Cit, . 1970 , p VII.

نصف قرن من الزمن على ظهورها، موضع اختبار وتحليل ومناقشة وتطوير، وربما كانت المحاورات الجارية حول النظرية أكثر أهمية للباحثين والدارسين من صياغة معدلة للنظرية.

ويقرر «دونالد كريسي» أن تقديم «سذرلاند» لنظريته في صفحتين متضمنة تسعة افتراضات، مع قليل من الإيضاح لسببية الجريمة وانحراف بعض الأفراد دون غيرهم، جعل هناك شيئًا من الصعوبة في تفهم قرائه لمغزى مقاصده ولمعاني عباراته.

وهنا خمسة أخطاء أساسية وعدد من الأخطاء الثانوية كانت سبباً في إعاقة الاتصال الفعال بين «سذرلاند» كمصدر للنظرية، وبعض القراء والباحثين من متلقي النظرية **وهذه الأخطاء هي** [1]:

١ – **افتراض أن النظرية تهتم فقط بالتفاعلات والعلاقات مع أنماط السلوك الإجرامي والانحرافي**، فباحث مثل «فولد» (Vold) يرى أن مشكلة نظرية الاختلاط التفاضلي تكمن في أن كل من يتصل بنمط إجرامي سوف يصبح مجرماً، ولكن «كريسي» يرد على ذلك ويقول إن هذا الاتهام تجاوز النظر إلى مفاهيم مثل «التفاضل» وتكرار وشدة الاختلاط، ويؤكد كل من «دي فلير» و«كويني» أن فروض النظرية تسعة، وليست قاصرة على الفرض السادس فقط، وقد قاما بإعادة ترتيب هذه الفروض التسعة، ومن الخطأ الفادح إدانة النظرية بعدم المصداقية، لأن بعض الأفراد كضباط الشرطة وموظفي السجون وعلماء الجريمة على علاقة قوية بأنماط الإجرام، ومع ذلك لم يتحولوا إلى مجرمين.

٢ – **يعتقد البعض أن النظرية تقول إن الأشخاص يصبحون مجرمين لزيادة**

---

1) Ibid, p. 83.

اختلاطهم بالمجرمين، ويرجع هذا الخطأ إلى شيوع فكرة الرفقة السيئة في المجتمع الأمريكي من جانب، وإلى عدم فهم مضمون صياغة النظرية من جانب آخر، والحقيقة هي أن نظرية الاختلاط التفاضلي تهتم بمعدلات الاختلاط وبأنماط السلوك بغض النظر عن الشخص الذي تصدر عنه، والقراءة المتأنية للنظرية تكشف عن مفاهيم معينة وردت أكثر من مرة في ثنايا عرض النظرية ومن هذه المفاهيم مفهوم «اللوائح والنصوص القانونية المقبولة وغير المقبولة»، والمفاهيم «المحبذة لانتهاك القانون والمفاهيم غير المحبذة لانتهاكه»، ومفهوم «الاختلاط بالأنماط الإجرامية والأنماط المناهضة للجريمة».

والفرد يمكن أن يتعلم السلوك الإجرامي من أشخاص ليسوا مجرمين ويمكن أن يتعلم أنماط السلوك المضاد للجريمة من المحتالين والمختلسين والمذنبين المعتادين وأعضاء العصابات [1].

٣ – إن هناك بعض العلماء (*) **الذين ظلوا يعتقدون أن نظرية الاختلاط التفاضلي هي الصيغة التي نشرت بها عام (١٩٣٩م)**، وذلك على الرغم

(*) وهؤلاء العلماء هم:

– «روبرت. ج. جولدول» (Robert Goldwell) في كتابه «علم الإجرام» (Criminology) الذي ظهر عام ١٩٥٦م.

– «روث. س. كافان» (Ruth S. Cavan) في كتابها «علم الإجرام» (Criminology) الذي ظهر عام ١٩٥٥م.

– «مابيل. أ. اليوت (Mabel A. Elliott) «الجريمة في المجتمع الحديث» (Crime and Modern Society) الذي ظهر عام ١٩٥٢م.

– «ريتشارد. ر. كورن» (Richard R. Korn) و«للويد ماكركل» (Liloydw. Maceorkle) في كتابها «علم الجريمة وعلم العقاب» (Criminology and Penology) والذي ظهر عام ١٩٥٩م.

– «فولد» (Vold) في كتابه «علم الجريمة النظري» (Therotical Criminology).

– (Ibid, p. 83).

1) Ibid, 84.

من مرور فترة زمنية تتراوح بين خمس سنوات واثنتي عشرة سنة، والفارق المهم هنا هو أن صيغة النظرية في عام (١٩٣٩م) كانت تركز على السلوك الإجرامي المنظم، بينما صيغة النظرية في عام (١٩٤٧م) يجعلها تركز أكثر على السلوك الإجرامي بصفة عامة، وقد حذف «سذرلاند» لفظة «منظم» من الصياغة الجديدة، لأن بعض الباحثين كانوا غير قادرين على تحديد «المجرم المنظم» بينما نظر آخرون إلى عينة محدودة من المسجونين على أنهم مجرمون منتظمون، والنظرية الآن تشير إلى كل السلوك الإجرامي.

٤ - **ومن الانتقادات الأخرى التي وجهت للنظرية هي عدم تفسيرها لسببية اختلاط الأشخاص، وعدم تحديد مصادر المفاهيم المحبذة أو المعارضة للسلوك الإجرامي والانحلال**، ورغم أن ذلك يعتبر نقطة جديرة بالبحث والدراسة، إلا أن سلوك الشخص واختلاطاته التفاضلية، ومصادر مفاهيمه المحبذة للجريمة لا يعد نقصاً أو قصوراً في النظرية [١].

٥ - ويرى بعض الباحثين [*] أن نظرية «سذرلاند» تعكس تمييزاً أو تعصباً لأفكار معينة، فالحقائق ذاتها لا تشرح شيئاً كما يقولون، والنظرية عند «كلينارد» (Clinard) هي موقف تعسفي، ويقول «س. جيفري»

---

1) Ibid. 85.

(*) **من بين الباحثين الذين اتجهوا هذا الاتجاه:**

- مارشال . ب . كلينارد» (Marshall B. Clinard) في كتابه «علم الاجتماع والسلوك الإجرامي» (Sociology And Deviant Brhavior) الذي ظهر عام ١٩٥٧م.
- «شلدون. جلوك» (Sheldon Gllueck) في مقالته «النظرية والحقيقة في علم الاجرام» Theory And In Criminology التي ظهرت في المجلة البريطانية للإنحراف عام ١٩٥٦م.
- كلارنس . ري. جيفري» (Clarence Ray Geffery) في مقالته «النظرية المتكاملة في الجريمة والسلوك الإجرامي» (Integrated Theory In (Crime And Criminal Behavior) والتي ظهرت بمجلة القانون الجنائي وعلم الإجرام والشرطة عام ١٩٥٩م. Ibid, 85.

(C.R. Jeffery) : « إن النظرية لا تفرق بين السلوك الإجرامي والسلوك غير الإجرامي، حيث إن كلاً منهما قابل للتعلم »، ويقول « كريسي » : « إننا لو أخذنا كل نقد بمفرده، وناقشناه سواء كان صاحب هذا النقد قارئاً مفرداً أم جماعة من القراء، فإن ذلك سيأخذنا بعيداً إلى ميدان مستقل » . [1] .

ومن الانتقادات الشائعة الأخرى التي وجهت لهذه النظرية أنها [2] :

١ – تتجاهل الإرادة الحرة للإنسان .

٢ – تقوم على خيارات عقلانية .

٣ – تتجاهل دور الضحية (Victim)

٤ – لا تشرح أصل الجريمة .

٥ – لا تقدم شرحاً لبعض المفاهيم مثل منظم، وفرط (Excess) وموقعها من الاختلاط .

٦ – لا تأخذ العوامل البيولوجية في الحسبان .

٧ – قليلة أو عديمة الأهمية بالنسبة للإنسان العلمي .

٨ – ليست شاملة لأنها ليست كاملة، ولا تأخذ بتعدد العوامل والمداخل .

٩ – تنطبق على المجرمين وغير المجرمين .

١٠ – تفترض أن الناس سواء أمام الأنماط الإجرامية والأنماط غير الإجرامية .

وهناك نقد ليس بشيء من النقد على الإطلاق حيث يقول بعض العلماء « إن نظرية الاختلاط التفاضلي لا تنطبق على كل الجرائم وكل المجرمين، مثل مجرمي

---

1) Ibid . 86.
2) Ibid, p. 87.

الريف وأصحاب العقارات الذين ينتهكون قوانين الإيجارات ومزوري الشيكات والمجرمين ذوي الياقات البيضاء وبعض الجانحين ومجرمي الصدفة والقتلة».

وحيث إن معظم هذه الانتقادات غير مبنية على نتائج بحثية، لذا فإنها تعد من قبيل موضوعات مقترحة للبحث، أما أن النظرية تتجاهل العوامل النفسية في الجريمة فهذا نقد في محله.

ويقرر «دونالد كريسي» أن نظرية الاختلاط التفاضلي هي نظرية أو مبدأ في «الصراع الثقافي» [1] (Cultural Conflict) ويوضح ذلك بالإشارة إلى ارتفاع «معدلات الجريمة» (Crime Rates) بين جماعات معينة، وانخفاضها بين جماعات أخرى، حيث تنتشر الجريمة بين الجماعات التي تتوافر فيها ظروف «الثقافات الفرعية الإجرامية» (Criminal Subculture) والتي تتصارع فيما بينها.

كما يؤكد «كريسي» على أن الفضل الأول في ابتكار مبدأ الصراع القيمي يرجع إلى «سذرلاند» نفسه، فهو الأب الحقيقي لهذا المفهوم، وقد قام بصك هذا المفهوم لتفسير توزيع معدلات الجريمة، ثم حدد الميكانزم أو الآلية الذي يؤدي إلى إفراز الحالات الإجرامية وسمى ذلك الاختلاط التفاضلي [2].

تلك هي أبرز الانتقادات للنظرية، وبالرغم من ذلك فقد احتلت النظرية أهمية كبيرة لم ترق إليها نظرية أخرى قبلها في علم الإجرام النظري المعاصر، ولا يقلل من مكانتها وقيمتها وأهميتها العلمية عدم تحديد وتعريف المتغيرات الداخلية والخارجية فيها بطريقة إجرائية، أو عدم اختبارها عبر الثقافات والجماعات الاجتماعية المختلفة، أو عدم صياغة فروضها بطريقة رمزية رياضية.

رابعاً: مكانة نظرية الاختلاط التفاضلي:

---

2) Ibid, p. 95.

1) Ibid, p. 95.

يدلل عالم الجريمة الشهير « دونالد تافت » (Donald Taft) على مكانة نظرية الاختلاط التفاضلي بقوله : « **إن نظرية الاختلاط التفاضلي «لسذرلاند» تعد من أكثر النظريات العامة قبولاً في شرح كل أنواع الجرائم** » [1]، مثل :

١ – اختلاط صديقين أو الرفقة المتبادلة بين اثنين من البشر.

٢ –عضوية الجماعات السلبية وجماعات التلاميذ في فصول التعليم –مثلاً–.

٣ – الاختلاط والتفاعل مع جماعات النشاط مثل الأندية، وجماعات اللعب، والعصابات.

ولبيان أهمية الاختلاط مع العصابات يعرض « دونالد تافت » لمجموعة من الحقائق المستمدة من دراسات واقعية وإحصاءات مسجلة (*).

وكما أجريت الدراسات التقويمية لنظرية « سذرلاند » في الغرب وأيضاً في الهند، فإنها أجريت كذلك في العالم العربي متمثلة في دراسة « نبيل السمالوطي » و« عزة محمد أبو الهدى »، **وتجيء هذه الدراسة في المملكة العربية السعودية كدراسة أخرى أجريت في العالم العربي تقويماً لنظرية «سذرلاند».**

ورغم كل ما يمكن أن يقال عن نظرية «سذرلاند» في تفسير الجريمة فإنها تبقى

(*) من هذه الدراسات :

– دراسة « شو وماكاي » (Shaw And Mckay) بعنوان « العوامل الاجتماعية في انحراف الأحداث » (Social Factors In Juvenile Delinquency).

– دراسة « جلوك وزوجته (S.Gleuck And E Gleuck) بعنوان ألف حدث من حرف.

– دراسة « آدم بوفر » (J. A. Puffer) بعنوان « الطفل وعصابته » The boy And His Gang .

– دراسة « هيلي وبرونر » (Healy And Bronner) بعنوان « أضواء جديدة على انحراف الأحداث ومعالجته » New Light On Juvenile Delinquency & Its Treatment .

– دراسة « مارشال كلينارد » (Marshall B. Clinard) بعنوان علماء الاجتماع وعلم الاجتماع الأمريكي (Sociologists And American Criminology).

– دراسة « سيرل بيرت » (Cyril Burt) بعنوان « الحدث المنحرف » (The Young Delinquent).

1) Taft, D. R. Criminology, The MacMillon Company, 3 rd Edition, Newyork, U. S.

أبرز نظرية في هذا المجال، ومن ثم فقد اعتبرتها هذه الدراسة أفضل ما وصل إليه علم اجتماع الجريمة، واختارتها لفحص كفايتها داخل البيئة السعودية (*) نظراً لأن المجتمع السعودي يستعين في تنفيذ خطط التنمية الشاملة فيه بجماعات العمل المختلفة، ويصاحب ذلك وجود ثقافات فرعية غير متجانسة مثل ثقافة العمالة الآسيوية في محيط الخدمة المنزلية، وثقافة الكفايات الفنية المساعدة والسائقين من ثقافات مغايرة لثقافة المجتمع السعودي، ونظراً لما كشفت عنه نتائج بعض الدراسات الميدانية والتحليلية الإحصائية من أن عدداً من مرتكبي السلوك الإجرامي بالمجتمع السعودي ينتمون إلى ثقافات أجنبية (١)، لذلك تصبح نظرية «سذرلاند» ذات أهمية خاصة في زيادة تفهم الجريمة بالمجتمع السعودي من جانب وفي التخطيط للوقاية من الجريمة من جانب آخر.

(*) انظر الفصل الرابع : الدراسة الميدانية من هذه الرسالة.

(١) خليفة، عبد الله بن حسين، المحددات الاجتماعية لتوزيع الجريمة على أحياء مدينة الرياض، مرجع سبق ذكره ص ٤٣٢ - ٤٣٣.

خاتمة:

عرض هذا الفصل لأهم الدراسات التقويمية التي عرضت لنظرية «سذرلاند» والتي تجمع في جملتها على أهمية وصلاحية النظرية بشكل أو بآخر للاختبار الحقيقي والتمحيص، وقد انتهت هذه الدراسات من خلال اختبار معظم افتراضات النظرية إلى تأكيد مصداقية الاختلاط التفاضلي كطريق لتعلم واكتساب وفعل السلوك الإجرامي وأيضاً لتعديل السلوك الإجرامي.

وأعطت تلك الدراسات مزيداً من الاهتمام للأسس المنهجية والإجرائية، كما اهتمت بالتطبيق في العالم الغربي عامة، والمجتمع الأمريكي بوجه خاص، باستثناء دراسة واحدة على القبائل الإجرامية بالهند.

وليس من شك في أن نتائج هذه الدراسات التقويمية أضافت أبعاداً أخرى إلى نظرية «سذرلاند» وجعلتها أكثر بريقاً ولمعاناً.

إلا أنها تبقى في نهاية المطاف عملاً من صنع البشر، لا يرقى بحال من الأحوال إلى مستوى الوحي المنزل من الحكيم الخبير.

إن التمعن في التعاليم الربانية الإسلامية وفحص قيم ومبادىء العبادات والمعاملات المتصلة بها يكشف عن الفارق الهائل بين قدرة الخالق وعلمه وضعف المخلوق، وشتان بين إعجاز الصانع ومجهود المصنوع. فالقدرة الإلهية تبلغ حدود الكمال والشمول وتربط حياة الإنسان بأخراه قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ (١).

وغني عن البيان أن التفسير الإسلامي الشمولي للسلوك الإنساني في حالتي السواء أو الإجرام هو تفسير جديد على نظرية «سذرلاند»، كما أن خصوصية البيئة الاجتماعية والثقافية للمجتمع السعودي تقدم بعداً جديداً على نظرية «سذرلاند»،

---

(١) سورة فصلت. الآية ٤٦.

وكذلك الزمن الذي تطبق فيه الدراسة الميدانية في الرسالة الحالية يمثل متغيراً هاماً لأنه يأتي بعد فترة تزيد عن ربع قرن تقريباً من الدراسات التقويمية السابقة، ويستفاد من ذلك في تحديد مفاهيم النظرية والصياغات المطورة لفروضها الأساسية، فاختبار نظرية «سذرلاند»، في المجتمع السعودي الذي يأخذ الشريعة الإسلامية منهاجاً، يجعل من هذه المحاولة عملاً ذا دلالة يوضح بدايتها تناول الباحث للتفسير الإسلامي الشمولي للسلوك في الفصل التالي، ويكشف مدى مصداقيتها في نتائج الفصل الرابع من الدراسة الميدانية.